وزارة التعليـم العالـي والبحث العلمي



Larbi Tebessi University – Tebessa | جامعة العربي التبسي - تبسة

Faculty of Humanities and Social Sciences. | كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

Department of Philosophy | قسم الفلسفة

الميدان : علوم إنسانية واجتماعية

الشعبة : علوم اجتماعية

التخصص : فلسفة غربية حديثة ومعاصرة

العنوان : البعد الديالكتيكي للتقنية عند هاربرت ماركيز

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر " ل.م.د "

دفعـــــة : 2021

إعداد الطالب (ة): مروة برقي

إشراف الأستاذ(ة) : فيصل زيات

لجنـــة المناقشـــة:

الاســـــم واللقـــب	الرتبـــة العلميـــة	الصفـــــــــــة
د. أحمد معط الله	أستاذ محاضر- ب -	رئيســـــــا
د. فيصل زيات	أستاذ محاضر- أ -	مشرفـــا ومقررا
د. سماح مالك	أستاذة محاضرة - ب -	عضوا ممتحنـــا

السنة الجامعية: 2020/2021

وزارة التعليـم العالـي والبحث العلمي



جامعة العربي التبســي - تبسـة

جامعة العربي التبسي - تبسة

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

Larbi Tebessi University – Tebessa

Faculty of Humanities and Social Sciences.

Department of Philosophy

الميدان : علوم إنسانية واجتماعية

الشعبة : علوم اجتماعية

التخصص : فلسفة غربية حديثة ومعاصرة

العنوان : البعد الديالكتيكي للتقنية عند هاربرت ماركيز

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر " ل.م.د "

دفعــــة : 2021

إعداد الطالب (ة): مروة برقي **إشراف الأستاذ(ة) : فيصل زيات**

لجنـــة المناقشــــة:

الاســـم واللقـــب	الرتبـة العلميــة	الصفــــــــــة
د. أحمد معط الله	أستاذ محاضر- ب -	رئيســــــــــا
د. فيصل زيات	أستاذ محاضر- أ -	مشرفـــا ومقررا
د. سماح مالك	أستاذة محاضرة - ب -	عضوا ممتحنـــا

السنة الجامعية: 2020/2021


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفـــــان

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال " من لا يشكر الناس لا يشكر الله "

فالحمد والشكر لله أولا الذي بنعمته تتم الصالحات والذي بفضله اتممت هذا العمل والشكر لكل من علمني حرفا من البداية حتى الوصول إلى هذه المرحلة وشكر خاص لأساتذة قسم الفلسفة عامة والأستاذ المشرف زيات فيصل خاصة على توجيهاته أدامكم الله سندا لحملة العلم

مقدمة

عرف الانسان من أن وطأت قدماه سطح الارض بالاجتهاد والتفكير في طرق تساعده على التأقلم مع الطبيعة لحفظ بقائه، ولبلوغ مبتغاه هذا أدى به لابتكار وسائل تساعده على العيش الكريم الى أن توصل لما يعرف بالتقنية، هذه الاخيرة التي أصبحت تحتل مكانة مرموقة وأساسية في حياته حيث عرفت أوج تطوراته مع عصر الأنوار هذا العصر الذي شهد قفزة جديدة للفكر الفلسفي الذي تغيرت فيه حياة الانسان الفكرية والعملية. إذ كان الهدف من مشروع الأنوار في بداية الأمر هو التخلص من الجهل والخرافات والدخول بالإنسان من بوابة العقل والعلم، لكن هذا المشروع لم يكتمل حيث أدخل الإنسان في متاهة يصعب الخروج منها، فتطورات العلم انعكست سلبا على حياة الإنسان مما نتج عنها تسابق في الصناعات التقنية وتزايد هائل في الإنتاج حولت العقل الانساني الى عقل آلي أداتي وجردت الإنسان من سماته الروحية خاصة مع انفجار الثورة الصناعية، وقد أثارت هذه القضية قلق العديد من الفلاسفة والمفكرين المعاصرين ويعد **هاربرت ماركيوز** من أهمهم، فقد عبر هذا الأخير عن حالة الاغتراب التي وصل لها الانسان المعاصر، هذا الأخير الذي أوجد التقنية بغية التحكم في الطبيعة لحفظ بقائه فانعكست عليه سلبا حيث أصبحت تتحكم فيه وبات خاضعا لها دون يدرك ذلك، وتعد هذه الأفكار التي توصل لها ماركيوز أثناء تحليله لأوضاع المجتمعات المتطورة صناعيا لم تكن شاغلة أفكاره لوحده، بل عبر عنها رفقة رواد مدرسة فرانكفورت المتأثرين بفكر ماركس الثوري، وعمل ماركيوز جاهدا على محاولة ايجاد حل للوضع الذي آلت إليه المجتمعات الغربية في عصره فدمج في فلسفته العديد من الأفكار والفلسفات التي سبقته كالنقد الكانطي والجدل الهيجلي المثالي، وكذا الجدل المادي الماركسي إضافة الى وجودية أستاذه هايدغر إلا أنه أعطاها بعدا مغايرا، هذا البعد الذي سلك به طريقا ممكن أن يقود الإنسان الى طريق التحرر، والخروج به من قوقعة النظام المزيفة التي كان يعيش فيها، هذا النظام الذي وجد في التسارع التقني ورقة رابحة

يمكن لها أن تحفظ بقائه ووسيلة يتحكم بها في الطبقات الضعيفة والكادحة على حساب الطبقات المالكة، ورأى ماركيوز أن العقلانية المزيفة التي يعيشها الفكر الاوروبي الغربي ستعمل على تدمير الإنسان يوما ما لا بد من ردعها، ولا يتم ذلك إلى عن طريق ثورة ذات حساسية جديدة تشمل فئات لم تكن في الحسبان سماها ماركيوز بحركة اليسار الجديد والتي ستعمل على إرجاع الإنسان الى إنسانيته الحقة التي سلبت منه .

اخترت هذا الموضوع **لأهمية** أفكار المفكر **هاربرت ماركيوز** الفلسفية التي حاول من خلالها معالجة الأزمات التي وقعت فيها المجتمعات الغربية، كون ماركيوز عالج موضوع حساس يمس جميع طبقات المجتمع دون تهميش فئة عن أخرى. كما تجدر الإشارة الى أهمية أفكار هاربرت ماركيوز في تاريخ الفكر الإنساني بوجه عام والفكر الفلسفي بوجه خاص. هذا ولا ننسى أهمية هذه الدراسة في تخصص الفلسفة بكل فروعها وخاصة الفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة، وإثراء المكتبة الجامعية بدراسة يمكن الاعتماد عليها كدراسة سابقة في وقت لاحق، وفي الاخير الخروج بنتيجة أساسية كانت محور الدراسة وهي محاولة ايجاد حلول تساعد على تنظيم حياة الانسان في كافة مجالاته من خلال تحليل **هاربرت ماركيوز** للمجتمع الغربي المعاصر.

على ضوء ما سبق تبرز الأهمية الفلسفية والإبستمولوجية لهذا الموضوع، الذي حفزنا على اختياره وطرقه أسباب ذاتية شخصية، وأخرى موضوعية عامة.

ومن **الأسباب الذاتية** التي قادتني لاختيار هذا الموضوع الميل للتعرف على أهم أفكار الفلسفة الغربية المعاصرة، وخاصة الفلسفة النقدية، وكذا الرغبة في خوض موضوع جديد بعيد عن ميولات غالبية الطلبة، وهو فلسفة **هاربرت ماركيوز** ذات الطابع الثوري التحرري، والتي عالج فيها قضية إنسانية تم تشويهها، وهذه من أهم المواضيع التي أميل لها خاصة في ظل الظروف التي تشهدها دول العالم الثالث عامة والجزائر خاصة.

أما بالنسبة **للأسباب الموضوعية** تكمن في أهمية فلسفة **هاربرت ماركيوز**، ومعرفة الطرق التي انتهجها للوصول إلى حل مشكلات وقضايا عصره، بالإضافة إلى قلة الدراسات التي اهتمت بالبعد الديالكتيكي للتقنية، أي أصالة وجدة الأبحاث والدراسات النقدية للتقنية ذات البعدين عند ماركيوز.

لهذا البحث **مجموعة من الأهداف** أبرزها معرفة ماهية التقنية، وموقف الفلاسفة منها عبر العصور، ومعرفة كيف سيطرت هذه التقنية على الطبيعة والإنسان وكيفية تقسيمها للمجتمعات إلى طبقات، كما يهدف أيضا الى معرفة الانتقادات التي وجهها ماركيوز للمجتمعات الصناعية وكيف عمل على احياء الديالكتيك في الفكر الصناعي الغربي، ومعرفة البديل الذي جاء به لقيام مجتمع خال من اساليب القمع والسيطرة، ومعرفة كيفية تحويل التقنية الى وسيلة للتحرر من قبل ماركيوز وإبراز اهم سمات الحساسية الجديدة.

بما أن هذا الموضوع جديد فان **الدراسات السابقة** فيه قليلة جدا، إذ توجد دراسة جزائرية عبارة عن مذكرة ماجستير من إعداد الطالب مصطفى أقرور تحت إشراف الاستاذ عبد المجيد عمراني، بعنوان مفهوم الحرية عند **هاربرت ماركيوز**، بقسم الفلسفة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة، السنة الجامعية 2000/1999، حيث تناول فيها الباحث مشروع ماركيوز التحرري وقد توصل الى النتائج التالية:

- إن النظام السياسي في عصر ماركيوز لم يعمل على قمع حياة الانسان الخارجية فقط، بل عمل على قمع حياته النفسية أيضا لذا وجب الجمع بين حضارة الإيروس لقيام نظام خال من القمع، وكذا الجمع بين اللوغوس والإيروس، كما بين الباحث كيف جعل ماركيوز من التقنية وسيلة إيجابية تعمل على تحرير الإنسان.

أما **بالنسبة للدراسة السابقة** الثانية وهي أيضا دراسة جزائرية عبارة عن مذكرة مكملة لنيل شهادة ماجستير من إعداد الطالب جمال براهمة، تحت إشراف الأستاذ جمال حمود،

بعنوان الإنسان والوعي في فلسفة **هاربرت ماركيوز**، قسم الفلسفة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية 2011/2010، وقد توصل في دراسته هذه الى نتائج منها:

– أن المجتمع الصناعي يخضع باستمرار لعملية التنميط الفكري وتمارس عليه آليات القمع، بحيث يسير العقل الإنساني في حالة من اللاوعي وقد نبه ماركيوز من خطر هذه السياسة، إذ تعمل وتسعى جاهدة لقتل روح النقد وجعل الكائن مطيع لها، كما بين جمال براهمة أن ماركيوز نبه أيضا إلى دعوة ضمنية لتصحيح أخطاء العقلانية التكنولوجية وتخليصها من شوائب فكر السيطرة، فيزول بذلك كل توتر أو تناقض، ومن الضروري إعادة ترتيب المجال الذهني والغريزي والعمل على إسناد مهمة التحرر إلى فئات لم يشملهم الإدماج، عرفهم ماركيوز باسم اليسار الجديد.

نلاحظ من خلال الدراستين السابقتين أنهما لم تتناولان الديالكتيك الماركوزوي بصفة مفصلة، وهذا ما سنعمل عليه والتعمق فيه من خلال دراستنا هذه.

ومما لاشك فيه أن هناك **صعوبات** واجهتني في إعداد هذا العمل المتواضع، من أهما كون هذا الموضوع يفتقر للدراسة والتعمق من قبل فإن توفر المراجع حوله تكاد تكون منعدمة في الجزائر، إضافة إلى أن معظم مصادر ماركيوز لم يتم ترجمتها وغير متوفرة، كما أن الموضوع استنتاجي يستغرق وقت كبير لفهمه وتحليله، فأفكار ماركيوز تحاكي أفكار العديد من مفكري الفلسفة العظماء، مما أدى بنا إلى الكثير من الشك والغموض، ويمكن إبراز أكبر عائق واجهني في البحث هو موقف ماركيوز الايجابي من التقنية حيث أنني لم أجد المعلومات في هذا الخصوص. لكن بفضل الاستعانة ببعض المراجع المهمة تجاوزت هذه الصعوبات.

إن البحث في مسألة البعد الديالكتيكي للتقنية عند هاربرت ماركيوز، تقودنا الى طرح **الاشكالية المحورية** التالية:

كيف عمل هاربرت ماركيوز على تجاوز عقبات المجتمع الصناعي؟ وكيف وحل مشكلة التقنية التي عملت على تشكيل الانسان ذو البعد الواحد؟

وفي ضوء ذلك تمركزت تحت هذا الإشكالية المحورية التساؤلات الفرعية التالية:

ماهو تصور هاربرت ماركيوز التقنية؟

كيف وجهت التقنية للسيطرة على الانسان والطبيعة؟

ماهي الانتقادات التي وجهها هاربرت ماركيوز للمجتمعات المتقدمة تقنيا؟

كيف عمل ماركيوز على إحياء الديالكتيك في الفكر الصناعي الغربي المعاصر؟

ماهو البديل الذي جاء به ماركيوز لبناء مجتمع جديد يتمتع بالحرية ؟

وفي إطار بحث وتحليل هذه الاشكالية اعتمدت على المنهج التحليلي في ضبط دلالة المفاهيم، والمنهج التاريخي في تتبع تطور مسار الأفكار، والمنهج المقارن في إبراز الاختلاف بين ماركيوز والفلاسفة والآخرين حول مفهوم التقنية وأبعادها، وكذا المنهج التحليلي والنقدي. وقد استندت في بحثي هذا على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها مصدرين لهاربرت ماركيوز، "الانسان ذو البعد الواحد" و "العقل والثورة" ومرجع فؤاد زكريا بعنوان "هاربرت ماركيوز".

وللإجابة على الإشكالية المطروحة **قسمنا هذا البحث إلى** فصلين، وكذا مقدمة وخاتمة، حيث عرفت في المقدمة بالموضوع العام، من العام الى الخاص الذي تدور حوله الإشكالية، ثم قمت بإدراج الفصول الرئيسية في المذكرة كالتالي:

الفصل الاول عنوانه: " **العقلانية التقنية: التقنية كأداة للسيطرة على الرأسمالية** "، ويحتوي على مبحثين، تطرقت في المبحث الأول إلى ضبط مفهوم التقنية وتاريخ تطورها عبر العصور، كما حددت كيف حولت التقنية العقل الإنساني إلى عقل أداتي، وفي المبحث الثاني تحدثت عن تقسيم العمل في المجتمعات المتطورة الصناعية، وموقف ماركس وماركيوز النقدي من هذا العمل، وختمت المبحث بعقلانية المجتمع ذو البعد الواحد.

أما في **الفصل الثاني** المعنون بـ " **البعد الديالكتيكي للتقنية** "، فقد خصصت فيه مبحثين أيضا تحدثت في المبحث الأول عن السيطرة التقية وكيف عملت الفلسفات الوضعية على قتل روح النقد، وغياب الجدل، ثم بينت كيف عمل ماركيوز على استرجاع النقد والسلب رفقة رواد مدرسة فرانكفورت، مستعينا بأفكار فلاسفة سبقوه، كما تحدثت عن مشروع ماركيوز التحرري، ثم خصصت المبحث الاخير للحديث عن ايجابيات التقنية التي من الممكن أن تعمل على تحرير الإنسان حسب رأي ماركيوز، وأخيرا وضحت كيف جعل ماركيوز من الفن بعد يعمل على تهذيب روح الإنسان وترك العنان للإبداع.

بعد هذا التحليل انتهى البحث بخاتمة تتضمن مجموعة من النتائج، توصلت لها من خلال هذه الدراسة أجبت فيها على الإشكالية التي طرحت في المقدمة.

اتمنى ان يكون هذا البحث مساهمة متواضعة تعمل على اثراء الدراسات الفلسفية حول افكار الفيلسوف الالماني هاربرت ماركيوز و التعرف على اهم المحطات التي توقف عندها هذا المفكر .



الفصل الاول

العقلانية التقنية : التقنية كأداة للسيطرة على الرأسمالية

المبحث الأول : البعد التقني للمعرفة وأفول العقل .

المبحث الثاني : العقلنة التقنية ومجتمع البعد الواحد .

المبحث الاول : البعد التقني للمعرفة وأفول العقل

المطلب الاول : التقنية و العقل الأداتي

تمهيد

إن رغبة الإنسان وتحمسه الشديد للعلم وتقدماته أنتج علم التقنية التي سعى هذا الاخير للسيطرة به عل العالم غير أن هذا التحمس الزائد للعلم ومنتجاته المتطورة منع الناس من الانتباه للسلبيات التي قد يطرحها ، إذ حول العقل الانساني الى عقل تقني أداتي ، وقبل الغوص والتعمق في هذا الأمر وجب تحديد مفهوم التقنية وتاريخ تطورها عبر العصور ، ومحاولة معرفة كيفية تأثيرها على العقل الانساني وتحوله إلى عقل أداتي تقني .

أولا : في مفهوم التقنية

1- لغة

مأخوذة من الفعل " أتقن يتقن إتقانا ، أتقن العمل : أحكمه اجاده ضبطه "[1] وتعرف التقنية أيضا لغة على انها كلمة مقسمة إلى شطرين " technology وهي كلمة إنجليزية مشتقة من techno و logia حيث تعني techno الفن والحرفة وتعني logia الدراسة والعلم "[2] .

[1] – أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة ، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة ، القاهرة ، مصر ، ط1، 2008، ص 295.

[2] – خضرا حيدر، مفهوم التقنية (دلالة المصطلح ومعانيه وطرق استخداماته) ، مجلة الاستغراب ، العدد 15 ، لبنان، 2019، ص 285 .

2- إصطلاحا : " وأما على الصعيد الاصطلاحي تعني التطبيقات العلمية للعلم والمعرفة في جميع المجالات التي يعيشها المجتمع الحديث في الغرب " [1].

كما يقابل " technique ما هو نظري وفي الفن يقابل أما موضوع الفن وأما قيمته الوجدانية . ويقابل في اللغة ما هو شائع فيقال هذا لفظ تقني أي علمي "[2]

ويمكن تعريف التقنية أيضا " Tekné باليونانية تتضمن الهندسة المعمارية والطب والخطاب وكان هذا اللفظ يشير الى كل علم من العلوم إلى ما يستنبطه من قواعد اجرائية تسمح له بإنتاج أشياء متماثلة بصورة لا متماثلة وبصورة لا محدودة ، فالتقنية هي المعرفة المنتجة والمبدعة "[3]

ويعرف معجم لالاند التقنية على أنها "مجموعة من الطرق محددة بدقة وقابلة للتوصيل مخصصة لإحداث بعض النتائج المعتبرة النافعة "[4]

وأخيرا يعرف معجم جميل صليبا التقنية بأنها ترادف التكنولوجيا . " التكنولوجيا علم التقنيات وهو يدرس الطرق التقنية من جهة ماهية مشتملة على مبادئ عامة ومن جهة ماهية متناسبة مع تطور الحضارة "[5] .

ومن هنا يمكن القول بأن التقنية هي مجموعة من الطرق والوسائل التي يعتمدها الانسان لإنتاج معرفة مادية او معنوية وهي في تطور مستمر منذ ظهورها الاول.

---

[1] – المرجع السابق، ص 285 .

[2] – مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر، ط 5 ،2007 ، ص208.

[3] – جلال الدين السعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار جنوب للنشر، تونس، (د.ط)، 2004، ص 115.

[4] – اندري لالاند، موسوعة لالاند المنهجية، تر: خليل احمد خليل، منشورات عويدات ، بيروت، باريس، المجلد الاول ، 2001، ص 1428.

[5] – جميل صليبة، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية ، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة ، بيروت لبنان، ج1، (د.س)، ص 333.

ثانيا : في تاريخ التقنية

لطالما ارتبطت التقنية بوجود الإنسان الذي أوجد وسائل واختراعات لمساعدته على البقاء والتأقلم مع الطبيعة منذ القدم .

1- التقنية في العصور القديمة : " عند رؤيتنا لمجموعة من أقدم الأدوات التي صنعها الإنسان فإننا (...) نجد عصى قرض طرفها بحيث يمكن استعمالها للبحث عن جذور النباتات أو الديدان الصغيرة ، وحجرا تم قطعه بشكل غير مشذب من جهة واحدة لتشكل له حافة قاطعة وأداة صنعت بشكل مرتجل تستعمل لقطع جثة حيوان ميت ، وهراوة صنعت من جذع شجرة "[1]. حاول الانسان هنا إيجاد وسائل من أدوات بسيطة يستعملها في حياته اليومية ثم بدأت هذه الوسائل تتطور شيئا فشيئا إلى صناعات أخرى يدوية " فبدأ الإنسان القديم بابتكار أشكال أكثر إتقانا من البلطة ، كما بدأ يبدي اهتماما أكبر بالشظايا التي يتم كسرها عند صناعة تلك الأدوات حتى أننا نجد جماعات من البشر قبل حوالي ربع مليون سنة ترتكز اهتمامها على الشظايا أكثر من التركيز على الكتلة الأم (...) وقد كانت تلك الأدوات المسماة بأدوات الشظايا أصغر حجما من البلطة اليدوية وكانت تصلح للاستعمال في أعمال أدق فكنت تثبت في مقبض او يد لتستعمل كرؤوس للرماح " [2] وبعض هذه التطورات الملحوظة جعلت من الإنسان يتميز بها عن الحيوان بابتكار وسائل تعايش مختلفة أدت به إلى اكتشاف الزراعة التي دخل بها عالم الاقتصاد ونشأة المدن منذ 5000 سنة ق.م فأصبح يصنع من المعادن كالفضة والنحاس والأواني وغيرها من مستلزمات الحياة ومن الخشب عربات " واختراع النير الذي يثبت على أكتاف الحيوانات بدل تثبيت المحراث

[1] – هنري هودجر، التقنية في العالم القديم، تر: رندة قاقيش ، الدار العربية للنشر والتوزيع، عمان، الاردن ، (دط)، 1988، ص 25.

[2] – المرجع نفسه، ص 27 .

الوحشي لجر المحراث "[1] وهذه الادوات تعتبر كأول صناعات استخدمها الإنسان لتسهيل جمع لقمة عيشه .

أما بالنسبة للسياسة التي اتبعها القدامى كانت هي الأخرى في تطور مستمر حيث بدأت الشعوب في إستوطان أماكن صالحة للزراعة وأماكن تساعد على العيش السليم وللسيطرة على تلك الأماكن كان لا بد من صنع مركبات وسفن "إن أقدم المركبات الباقية ليومنا هذا والتي عثر عليها في القبور المصرية تعود لفترة متأخرة لكنها تثبت أن صانعي العجلات كانوا مدركين منذ القدم ، الحاجة لاختيار الخشب المناسب فلمحور العجلة خشب قاس كثيف لا يكسر بسهولة"[2] ترجع هذه المركبات المصنوعة بسماكة من سفن وغيرها كوسائل تساعد على التجارة وكوسائل للسيطرة وتوسيع أماكنهم وحماية ممتلكاتهم أيضا.

2–التقنية عند اليونان : أما بالنسبة لليونانيين هم أيضا كانت بداية التقنيات عندهم عبارة عن بعض الابتكارات البسيطة تشبه بعض الشيء الوسائل التي كان يعتمدها الحيوان لحفظ بقائه وهذه الوسائل البسيطة قد تعلموها من عند **بروميثيوس*** فيتذكر كيف ساعد البشرية يقول " كانت لهم أعين لكنهم لا يبصرون ، وكانت لهم آذن لكنهم لا يسمعون . ولم يكونوا يعرفون كيف يبنون البيوت بالأجر في مواجهة الشمس... وكانوا يعملون بلا حسابات نافعة إلى أن أريتهم مطالع النجوم ومواضعها ... وعلمتهم الأعداد وهي الحيلة العظمى

---

[1] – المرجع السابق، ص 82 .

[2] – المرجع نفسه، ص 129 .

***بروميثيوس** : احد الجبابرة اليونانيين كان صديق الاله زيوس عرف بالمكر والدهاء فهو مفكر باهر سريع البديهة واسع الحيلة بعيد النظر ن خلط برومثيوس التراب والماء وشكل مخلوقا ثم منحه القدرة على الكلام ، كان شديد الدفاع عن البشر فسرق النار من زيوس ووهبها للبشر ليستعيرون بها في حياتهم اليومية فغضب منه زيوس وعاقبه (انظر : عبد المعطى شعراوي، اساطير اغريقية (أساطير البشر)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر، ج1 ، (دط)، 1982، ص 83–90).

والكتابة وهي أم الذاكرة ... وكان الطب هو أعظم ما علمته للبشر... إلى أن علمتهم تركيب الأدوية "[1] ، وخلافا على ذلك وإسنادا لهذه الاسطورة تعلم اليونانيين كيف يتعايشون .

يرى سقراط أن التقنية ضرورية في حياة الإنسان لأنها تساعده على الرقي والعيش حيث " يبرهن على أن أصل المدينة هو الحاجة وأن الحاجة تلبي أولا وقبل كل شيء عن طريق التقنيين كالزارعيين والبنائين ومع نمو المدينة وانتقالها تزدهر التجارة وتقام ساحة عامة ومع ازدياد الترف تدخل تقنيات لا تلبي الضرورة وإنما الترف كالصيد والرسم والشعر "[2] ومع تطور المدن تستدعي الضرورة إلى " تولد تقنية الحرب وتتولد طبقة الجند "[3] هذه الطبقة المتكونة من الجنود و الحراس ستعمل على حماية المدينة من كل تعسف خارجي ولهذا يجب تزويد طبقة الجند بمعدات حربية تقنية تشد ساعده .

أما بالنسبة لأرسطو فانه يرى بأن التقنية "منتجة من حيث أنها تأتي إلى الوجود بشيء غير واجب الوجوب أي ليس ضروري ولا يوجد في الطبيعة أي شيء يعتمد وجوده على الصانع التقني وذلك يتضمن إنتاج غير الملموس : كالصحة للطبيب و الإقناع للخطيب و البرهان للرياضي (...) وبذلك يكتسب الطب من خلال الخبرة ليس الكتب الدراسية فحسب"[4] وبناءا على هذا يمكننا القول أن أرسطو يجد أن التقنية لا تقوم على المنتجات الملموسة المادية فقط وإنما يضفي عليها الجانب الأخلاقي وكذا المعنوي.

في حين ذهب أفلاطون إلى التفريق بين تقنيات متعددة ووضع نقاط اختلاف وتباين بين بعضها البعض حيث " يميز بين تقنية المستخدم وتقنية الصانع وكذا تقنية المقلد ، وذلك في محاولة منه لوضع تصنيف للمعرفة التقنية وتتناول هذه المحاورة نقد ممارسات التقليد

---

[1] – سيرافينا كومو، التقنية والثقافة في العصور القديمة ، تر: مصطفى قاسم، هيئة ابو ظبي للسياحة والثقافة ، ابو ظبي، الامارات العربية، ط 1، 2012، ص 19 .

[2] – المرجع نفسه، ص 39 .

[3] – نفسه، ص 39 .

[4] – نفسه، ص 26 .

ولذلك لا يكون من قبيل المفاجأة أن تأتي تقنية المقلد الأدنى بين الثلاثة والصانع بدوره يوضع في مرتبة أدني منه المستخدم ذلك ان الأول لم يوهب إلا الرأي الصحيح في حين يمتلك الأخير معرفة بالشيء كالفرق بين عازف الناي وصانعه "[1] وعليه فان أفلاطون قد أعطى تقنية المستخدم شأنا أكبر من جميع التقنيات التي تليها لأن تقنية المستخدم هي الأصح .

ثالثا : التقنية في العصر الحديث وهيمنة **العقل الأداتي***

عرفت الفلسفة في العصر الحديث تغيرا جذريا مع منتصف القرن السادس عشر وبدايات القرن السابع عشر تزامنا مع ظهور النهضة والثورة على ما كان سائدا في العصور الوسطى من تهميش وجمود فكري إذ سيطرت الكنيسة ورجال الدين على حياة الإنسان فقتلت فيه روح التفكير والإبداع ، الأمر الذي دعا إلى ضرورة تحرير العقل من سلطان الفكر اللاهوتي ومحاربة الجهل والباطل وصولا إلى التفكير العقلاني ظنا أن العقل اعدل قسمة بين الناس ، إلا أن طغيان النزعة العقلانية جعل العقل الإنساني عقلا عمليا تقنيا بحت ، ينتج الآلة ويخضع لها مما جعل الإنسان زعيما للطبيعة ومالكا لها غير أن الإفراط في العقلانية التقنية حول عقل الإنسان إلى عقل أداتي هذا العقل الذي يسعى للإنتاج المفرط . ومن خلال هذا السياق يمكن القول أن الهدف الرئيسي الذي سعت فلسفة الأنوار لبلوغه قد تحقق ولكنه بالمقابل ادخلها في متاهات أخرى أي من سيطرة اللاهوت والكنيسة إلى سيطرة الآلة وتجريد الإنسان من إنسانيته " وبهذا قد قضت العقلانية الأداتية على جانب الابتكار والإبداع في الإنسان كما عمقت فيه نزعت حب الثورة ولهذا العقل خطورة كبيرة في سياق

---

[1] – المرجع السابق، ص 27 .

***العقل الاداتي** : هو الفعل الذي تحكمه القواعد التقنية والذي تترتب عليه نتيجة متوقعة وهذا التوجيه الاداتي نحو الاشياء والذي يشكل اساسا للعلم لا يرى الاشياء الا بموضوعات يمكن التلاعب بها (انظر: آلن هاوا، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، تر ثائر ديب، دار العين، القاهرة ، ط1، 2010، ص269) .

التقدم المعرفي و الثقافي (...) فهو بهذه الصورة سيسلك منافذ شتى من قمع وكبت و استبداد و قتل للحريات في سبيل الوصول إلى ما حدد له في البرامج التوجيهية التي تقتضي

كون الإنتاجية ومردوداتها هي الغاية في ذاتها حتى وان كانت على حساب إنسانية الفرد "[1] مما جعل من الإنسان عبارة عن آلة مبرمجة يسير وفق ما تفرضه عليه التقنية ووسائل ادعاية لأن " المبالغة في التعقيل قادت إلى مآزق فكرية ووجودية عبثت بجوهر الإنسان وماهيته "[2] وهذا مايستلزم القول" إن المشروع الحداثي أعلن إفلاسه أخيرا لأنه ببساطة قضى على الجانب الروحي في الإنسان وغيب القيم واحتفى بالمادة ، فالعقل نفسه اخرج من عباءته اللاعقل ، والعقل الذي نادى بقيمة الإنسان هو نفسه من افرغ الإنسان من محتواه الروحي"[3] فأصبح العقل الإنساني لا إنساني مثله مثل الأشياء المادية

رابعا : التقنية في العصر المعاصر

عرف القرن العشرين إرتباطا وثيقا بالصناعة والتطور التكنولوجي وكأن للاكتشافات العلمية التي حدثت في هذا العصر أثرا كبيرا بتغيير المفاهيم الفكرية وكذا المفاهيم العلمية ، عملت هذه الأخيرة على تغيير موازين الحياة و أصبح تقدم الأمم يقاس بمقدار ما تملكه كل أمة من معدات صناعية تكنولوجية كما عبر عنها الالماني **هاربرت ماركيوز*** إذ أضحت

---

[1] – حياة ذيبون، حديث النهايات العقل التواصلي بديلا عن العقل الاداتي، مجلة مقاليد، جامعة سطيف، العدد 5، ديسمبر 2013، ص 138.

[2] – المرجع نفسه.

[3] – نفسه .

***هاربرت ماركيوز** : ماركيوز (1979/1898) اكتسب شهرة عالمية خلال الستينيات من القرن الماض كفيلسوف ومنظر اجتماعي وناشط سياسي بعد ان ذاع صيته في وسائل الاعلام بوصفه الأب الروحي لليسار الجديد والمدافع عنه في الو.م.أ وأوروبا الامر الذي جلب له سمعة سيئة في الاوساط الحكومية . قدم نظريته حول المجتمعات ذات البعد الواحد ان (انظر: مجموعة من الاكادميين العرب ، الفلسفة الغربية المعاصرة ، دار الامان ، الرباط ، المغرب ، ط1 ، 2013 ، ص 755).

هذه التكنولوجيا المحرك الأول للحياة وفي كافة المجالات (الثقافية ، العلمية ، السياسية ... الخ) وبإمكان هذا المحرك التأثير على الحياة البشرية بشكل عام سواء كان هذا التأثير نحو الإيجاب أو السلب. فمن اجل ذلك عملت الدول على تحقيق الرفاهية و التطور حتى وإن أسفرت عن نتائج سلبية ومن رواد هذا العصر الفيلسوف هاربرت ماركيوز. نظر هذا الأخير للتكنولوجيا والصناعة المتطورة نظرة سلبية كونها عملت على سلب حرية الفرد وإفراغه من إنسانيته فأصبحت المجتمعات المعاصرة و المواكبة للصناعة التقنية فاقدة للوعي مما باتت تعيش حالة من **التشيؤ*** واستنادا على هذه النظرة رفض ماركيوز الفلسفات التي تدعو إلى تدعيم المادة و العمل على دراسة الإنسان الذي يعاني من سلطة الآلة " فالمجتمع الإنساني ينبغي أن يدرس بنفس الأساليب الدقيقة المضبوطة التي تدرس بها العلوم الإنسانية "[1] فالإنسان أحق بالدراسة لان الجانب النفسي اصبح الان تغذية المادة لهذا عرف ماركيوز التكنولوجيا في كتابه الإنسان ذو البعد الواحد قائلا " ان التكنولوجيا هي بالتعريف علم تحويل الأشياء (الطبيعية) إلى أدوات مروضة مسيطر عليها بهدف استغلالها لأغراض اجتماعية وحضارية "[2] و يقول أيضا " ان التكنولوجيا هي فن غزو الطبيعة و التغلب على مقوماتها الخرساء "[3] من هنا التقنية التي يعرفها ماركيوز ليس تلك التقنية التي عرفها الانسان قديما و ليست هي تلك التي عرفها الانسان الحديث بل هي تتعدى ذلك الاعتقاد القديم فهي اصبحت تشكل على المجتمع المعاصر خطرا يهدد الانسان و مهمة الفيلسوف العمل على التنبيه لهذا الخطر ، وخلاصة القول ان التقنية في العصر المعاصر مشروع للسيطرة على الشعوب

---

[1] – فؤاد زكرياء، هاربرت ماركيوز، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية ، مصر، ط 1، 2005، ص 21

***التشيؤ** : تحول الموجودات الحية الانسانية الى اشياء وموضوعات جامدة تحولا يمكن ان تظهر معه في سوق الحياة كما لوكانت بضائع او سلع قابلة للبيع والشراء انظر (سهير عبد السلام ، مفهوم الاغتراب عند هاربرت ماركيوز ، دار المعرفة الجامعية، مصر، (د.ط)، 2003، ص 32 .)

[2] – هاربرت ماركيوز، الانسان ذو البعد الواحد، تر : جورج طرابيشي، منشورات دار الادب، بيروت، لبنان، ط 3 ، 1988، ص 13 .

[3] المصدر نفسه، ص 13 .

اكثر منها مشروع للتطور و الازدهار فعوض ان تعمل على رقي المجتمع اصبح جزء منها يعبر بلغتها عن حياته و طريقة عيشه .

المطلب الثاني : سيطرة التقنية على الطبيعة والإنسان

تمهيد

إن الهدف الذي يسعى العلم الحديث بلوغه هو تحقيق التطور العلمي والتقني، ووضع العالم بين يدي الإنسان فأصبح الإنسان المسيطر و المتحكم الأول والاخير في الطبيعة وتمكن من فك أسرارها وترسيخها حسب متطلباته وذلك بفضل ما وصل إليه من بذخ علمي باهض ولد من رحم الثورات العلمية، فظهرت مناهج جديدة وامتدت هذه الثورات إلى الثورات الصناعية مع أواخر القرن 18، الغاية من البذخ العلمي الذي وصل إليه الإنسان هو تسهيل حياته وتحقيق أهدافه والوصول إلى الرفاهية ، غير أن هذا التطور نظر إليه العديد من المفكرين نظرة سلبية وعلى ضوء هذا اهتمت الدراسة حول معرفة كيفية تحكم التطورات التقنية في الإنسان وعالمه وكذا معرفة موقف الفلاسفة المعاصرين منها.

أولا : أهم التغيرات التي حدثت في الفلسفة الحديثة

لقد تغير العالم في العصور الحديثة في جميع مجالات الحياة ، وبدأت ملامح التغيير مع الاكتشافات العلمية لكوبرنيكوس حيث " يذهب هذا الأخير إلى أن اعتراضات الإغريق على فكرة أن الأرض تتحرك لا تستطيع الصمود أمام النقد ، ويشير إلى عدد ممن سبقوه من الإغريق إلى فكرة مركزية الشمس. وقد ذهب إلى أن مركزية الشمس تقدم تفسيرا للنظام الشمسي أكثر بساطة أو أكثر إتساقا" [1] ، حاول كوبرنيكوس تغيير الفكرة التي تمحورت حول أن الأرض مركز الكون فـ " التحول الكوبرنيكي هو مفهوم الكون شمسي المركز(...) وليس حول أرض مركزية" [2] وهذا تغيير للنظرة الفلكية التي كانت سائدة من قبل . ثم يأتي قاليلو" ليدافع عن النظرية الكوبرنيكية وقدم أدلة جديدة من خلال استخدام التليسكوب دحضت

[1] – فريدل فاينرت، كوبرنيكوس وداروين وفرويد(ثورات في تاريخ وفلسفة العلم)، تر: أحمد شكل، دار هنداوي للنشر والتوزيع، المملكة المتحدة ، (دط)، 2017، ص 37.

[2] – المرجع نفسه، ص37.

النظرية الأرسطية البطلمية ومنحت المصداقية لفرضية مركز الشمس"[1] ، فنجد أن قاليلو طور النظرية الكوبرنيكية ثم جاء نيوتن وأكملها .

كما ركزت الفلسفة الحديثة على بروز تيارين رئيسين التيار العقلاني وتبناه الكثير من الفلاسفة من بينهم ديكارت، باركلي، سبينوزا... وغيرهم وكذا التيار التجريبي والذي تبناه كل من هيوم وجون لوك وفرانسيس بيكون...الخ .

ولقد كان لديكارت بصمة في عصره من خلال تبنيه للمنهج العقلاني ونقده لكل المعارف التي كانت سائدة وإعادتها من جديد حيث يقول:" قبل بضع سنوات صدمني عدد كبير من الأكاذيب التي كنت أقر في طفولتي أنها حقيقية وصدمتني الطبيعة المشكوك فيها بشدة (...) ، وأدركت أنه كان ضروريا مرة أثناء حياتي أن أدمر كل شيء تدميرا كاملا وأن أبدأ فورا من جديد"[2] ، من خلال قول ديكارت هذا فانه ادرك ان كل الحقائق التي كان يزعم بأنها يقينية ولا جدال فيها باتت قابلة للنقد ولا بد من اعادة النظر فيها مجددا كما يعتبر فرانسيس بيكون أيضا من أبرز فلاسفة هذا العصر فكانت أراؤه كلها منصبة في كتابه الأرجانون الجديد أي آلة العلم الجديد، " يقول في الفقرة 83 من الأرجانون الجديد: لقد فقدوا غاية العلوم وهدفها واختاروا طريقا خاطئا بإتباعهم منهجا ليس من شأنه أن يكشف جديدا من مبادئ المعرفة ويكتفي باتساق النتائج فقط"[3]

كانت هذه دعوى لرفض ما كان سائدا في العصور الوسطى بتضليلهم للمعرفة حيث يصف بيكون الطبيعة بأنها " الام الكبرى للعلوم ، أو جذع شجرة المعرفة ولا أمل في التقدم

---

[1] – المرجع السابق، ص 58.

[2] – جون كوتنغهام، العقلانية، تر: محمود محمد الهاشمي، مركز الإنماء الحضاري للنش، حلب، سوريا ، ط1، 1997، ص47.

[3] – يمنى طريف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين(الأصول، الحصاد، الافاق المستقبلية)، سلسلة كتب ثقافية شهرية، الكويت، (دط)، 2000، ص 60.

إلا بأن ترتد إليها العلوم جميعا"[1] ومن هنا لابد من اخضاع جميع المعارف للطبيعة وبما أن الإنسان هو المتحكم في الطبيعة فهو سيدها " فان الطبيعة ومنذ الفترة الأولى في الأرجانون الجديد هي مملكة المعرفة الإنسانية والميدان الوحيد المثمر والمأمول لسيطرة الإنسان وفقط عن طريق المنهج التجريبي(...) أي ملاحظة الواقع والتفكير في مسار الطبيعة وإذا تجاوز الإنسان هذا فلن يستطيع أن يعرف أو يفعل شيئا"[2]. ما شجع الامر انتقال معظم السكان من العمل في الوظائف اليدوية في الزراعة إلى وظائف جديدة . مما أدى إلى توجه أعداد هائلة من العمال في الريف إلى المدن الصناعية للعمل بأجور قليلة وفي وظائف مرهقة مما اد الى تدني أحوال هذه الطبقة فغرقت في الفقر و المجاعة ولم يكن بيدهم خيار سوا العمل في المصانع لجلب قوتهم ، فأصبحت حياة العمال منحصرة داخل المصنع وانقسم المجتمع إلى طبقتين الطبقة العاملة وطبقة أصحاب العمل(المالكة) وأصبح العامل شبيها بالآلة داخل المصنع.

ويمكن القول ان أنشطة التجارة والصناعة على اختلافها و تباينها شهدت ازدهارا مشهودا خاصة في بريطانيا لأنها من اكثر الدول التي حققت النجاح الأكبر في اوربا مع بدايات القرن الثامن عشر حيث تدين بنفوذها لتقدمها الاقتصادي وبحلول الثمانينات من ذلك القرن. ومن هنا عملت الدول الاوربية و حكوماتها على التشجيع الاقتصادي ، فان عصر الثورة الصناعية وما لحقه من تغيرات سريعة شكلت وجها جديدا وتأثيرا عميقا مع طغيان النزعة العقلانية وتعميم المنهج التجريبي على كافة العلوم نظرا للنجاح الذي حققه في الميدان وبتحرير الانسان وتغييره لموازين المعرفة نجده لم يكتفي عند هذا الحد بل مهد إلى ثورة صناعية في أواخر القرن 18 حيث امتدت من 1760-1840 والتي كانت بداياتها في إنجلترا ثم شملت فرنسا، سويسرا... الخ ، عملت الثورة على تغيير الانتاج الصناعي

[1] – المرجع السابق، ص 64.

[2] – المرجع نفسه ، ص 64.

والزراعي وذلك من خلال عدد من الاختراعات والاكتشافات في العصر الحديث أدت إلى استبدال الأساليب القديمة في الانتاج والتي تعتمد قوة الانسان العضلية وقوة الربح وغيرها على أساليب مستحدثة باستخدام آلات في الصناعة والزرا عة فكثرت وتعددت المصانع وتعددت الطلبات من طرف المستهلكين وأصبح الشعب يسعى لإشباع رغباته حسب ما توفره له المصانع من بضاعة مما ادت الصناعات الجديدة الى زيادة هائلة في الثروة والصناعة ، إضافة إلى أن الثورة غيرت الاعمال من الطريقة التقليدية اليدوية إلى عمل الآلات هذا على "بنية المجتمع البشري، جعلته مغايرا متميزا عن المجتمعات الماضية فبدلا من أن كون التكنولوجيا قوة تحريرية في خدمة الانسان المعاصر أمست عقبة في وجه التحرر. بتحويل الانسان المعاصر إلى أداة"[1]، فصحيح أن التقدم التقني أمسى عقبة في وجه التحرر الانساني في تلك الحقبة الزمنية إلا أن الناس لم يكونوا على وعي بذلك وذلك راجع إلى ما حققته التقنية من رغباتهم فتماهى الانسان فيها، كما "يصاحب دخول التقنية كذلك تغير في التصور والتنظيم التقليدي للمكان والزمان وللعلاقات العائلية بين الناس ويحدث تغير مكانة المرأة ودورها"[2].

ثانيا : موقف الفلاسفة المعاصرين من التقنية

إن التراكم التقني وتدخله في جميع مجالات الحياة دعى الفلاسفة المعاصرين إلى ضرورة البحث فيه ومن هؤلاء الفلاسفة نجد مارتن هيدغر* الذي يرى انه منذ عهد نيوتن وأنشتاين "بدأ الاهتمام وبشكل مذهل بتقنية الموت السريع أو كما يسمى بتقنية الذرية ومما لا شك فيه أن أخطر المشكلات التي نجمت من جراء التقنية هي في حقيقة الأمر مآسي

---

[1] – العربي ميلود، الذات والغيرية في فلسفة بول ريكور(رحلة البحث عن الذات من خلال الأخر)، مذكرة لنيل شهادة دكتوراة، تخصص علوم في الفلسفة، قسم الفلسفة، جامعة وهران، 2010 /2011، ص 22.

[2] – محمد سبيلا، مدارات الحداثة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط1 ، 2009، ص 209.

ومعاناة"[1] ، فقد نظر هيدغر هنا للتقنية نظرة سلبية لأنها أخذت بالمجتمعات إلى الخوض في الحروب وصنع الوسائل الحربية والأسلحة المدمرة مما أصبح الانسان يعيش في خوف وقلق "إذن التقنية بعدما كانت وسيلة للتطور والازدهار وأداة في يد العقل لإعلاء الحياة فأصبحت فجأة تعمل من أجل الموت والخراب"[2] وهذا عائد لما خلفته الحرب العالمية من مآسي، ويعتقد "هيدغر أنه على صواب حين أشار أن التقنية هي سلاح ذو حدين فإذا قدمت للإنسان الرفاهية والازدهار فإنه يسعى جاهدا لتطويرها ومتى سلبت منه ولو قيمة إنسانية واحدة من قيمة فهي تعد قناع لأنها ستحد من مشروعيته "[3]، وهي بهذه الحالة تصبح قيدا وعائقا أمام الإنسان "أخذت تظهر له وكأنها شيئا مستقلا عنه واعتبرته مجرد دمية بين مخالب الآلات والأجهزة التي تستعبده "[4]

كما أن هذه السيطرة التي فرضتها التقنية على الإنسان خاض فيها العديد من الفلاسفة بعد هيدغر ومن أبرزهم رواد مدرسة فرانكفورت* حيث بين كل من هوركهايمر وأدرنو "إن التقنية هي أساس العلم أو المعرفة وهي لا تهدف إلى إيجاد مفاهيم أو صور أو

---

[1] – إبراهيم أحمد، إشكالية الوجود والتقنية عند مارتن هيدغر، الدار العربية للعلوم، لبنان، ط1 ، 2006، ص 117.

***مارتن هيدغر:** 1889–1976 واحد من أعظم فلاسفة ألمانيا وهو مفكر الوجود جاء من الفينومينولوجيا الهسرلية واستخدام منهجها للتعرف أكثر(انظر: جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة (الفلاسفة، المقاطعة، اللاهوتيون، المتصوفون) ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط3، 2006، ص 694.)

[2] – ابراهيم احمد، مرجع سابق، ص 118.

[3] – المرجع نفسه، ص 130.

[4] – كمال بومنير، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من ماكس هوركهايمر إلى أكس هونيث، الدار العربية للعلوم، لبنان ، ط1، 2010، ص 56.

***مدرسة فرانكفورت :** هي تيار الذي تحقق في فرانكفورت سنة 1923 بالاتفاق مع معهد الابحاث الاجتماعية ومن الاوائل الذين ساهموا في تأسيسه فليكس فايل و فريديريش وماكس هوركهايمر الذي اصبح مدير للمعهد ثم سمي بمدرسة فرانكفورت التي ولدت نتيجة الازمات والصراعات التاريخية وكان من اسباب تأسيسها اسباب معرفية ترتبط بتكوين مؤسسات ثقافية في المانيا واسباب سياسية ترتبط بالفاشية والحركات الشيوعية واليسارية ولقد جمعت هذه المدرسة عدة اسماء منها ادرنو ايريك فروم ماركيوز ولقد هاجرت هذه الحركة الى جنيف 1933 في ظل حكم هتلر انظر (فيل سنيتر : مدرسة فرانكفورت نشاتها ومغزاها وجهة نظر ماركسية ، تر: خليل كلفة، المجلس الاعلى للثقافة، ط2، 2004، ص 22– 23 .)

سعادة المعرفة بل لإقامة منهج واستثمار عمل الغير وتكوين رأسمال ، ثم إن الاكتشافات العديدة التي يحتفظ العلم بها ليست بحد ذاتها إلا أدوات"[1]. من هنا حاول كل من أدرنوو هوركهايمر أن يبينان بأن المجتمعات الغربية تسعى إلى توظيف الوسائل العلمية بغية ماهو عملي ونفعي فقط دون النظر إلى الجوانب الأخرى التي قد ينتج عنها ردود سلبية من السلبيات التي قد تنتج إهمال الجانب الروحي للإنسان، كما "سبق أن أشرنا إلى أن هيدغر قد إنتقد التقنية على أساس أنها قد أصبحت تمثل تهديدا حقيقيا للإنسان وهذا عندما تحولت فيه إلى مشروع للسيطرة وهذا النقد الأساسي يلتقي في كثير من الجوانب والأبعاد مع نقد هوركهايمر وأدرنو للتقنية."[2]

ولقد كان لفيلسوف مدرسة فرانكفورت هاربرت ماركيوز العديد من الآراء حول السيطرة التي فرضتها التقنية في المجتمع كما أشرنا في السابق ، فاتفق في هذه الفكرة مع أستاذه هيدغر، " يمكننا القول بأن ماركيوز يتفق مع هيدغر في فكرة ان التقنية مشروع قد ارتبط بالسيطرة"[3] حيث أصبحت غاية الدول المعاصرة أنها تنتج كما هائلا من الوسائل التقنية والتي استنتج منها ماركيوز أنها تسعى بهذا الإنتاج للسيطرة على الإنسان وحصر تفكيره في الحاجات المادية، " انطلاقا من هذا يمكننا القول مع ماركيوز أن التقنية هي على الدوام مشروع إجتماعي تاريخي غرضه تحقيق السيطرة"[4] لتحقيق السعادة والحرية فالسيطرة التقنية أصبحت هي التي تحدد حياة الفرد وتاريخه.

1 – كمال بومنير، مرجع سابق ، ص 57.
2 – المرجع نفسه، ص 58.
3 – نفسه، ص 59.
4 – نفسه، ص 60.

المبحث الثاني: العقلنة التقنية ومجتمع البعد الواحد

المطلب الاول : تقسيم العمل بوصفه تجسيدا للعقل التقني

تمهيد

عرفت البشرية العديد من النظم الاجتماعية منذ القدم وكان لكل نظام شروطه ومبادئه الخاصة إلا أن معظم الأنظمة سرعان ما انتهى زمانها ومن أهم هذه الأنظمة نجد النظام الرأسمالي هذا الأخير اختلف عن غيره من الأنظمة عرف أوج نجاحاته خلال الثورة الصناعية، حيث ساعدت الرأسمالية على تطوير الصناعة وظهرت العديد من المؤسسات الاقتصادية مما ساعدت على تقليص البطالة ومن هنا انقسمت طبقات المجتمع إلى طبقتين المالكة والعاملة، هذا الأمر أدى إلى ضرورة الرجوع إلى العوامل التي ساهمت في نشوء النظام الرأسمالي الذي قسم المجتمعات وشجع على الملكية الفردية، وكأي نظام نجده هو الآخر تعرض للعديد من الانتقادات خاصة من رواد مدرسة فرانكفورت.

أولا : لمحة تاريخية عن الرأسمالية

يمكن إرجاع الجذور الأولى لهذا النظام إلى أواخر القرون الوسطى أي العصر الوسيط حيث شهد أول بداياته، " فقد نما التبادل التجاري بين مراكز رأسمالية أو شبه رأسمالية متباعدة على طرق تجارية طويلة كتجارة الحرير والتوابل بين الشرق والغرب عبر بلاد الفرس والبلاد العربية، كما نمت تجارة البخور بين الجنوب العربي اليمن والشمال وتجارة الصوف والملابس بين بعض المراكز الأوروبية "[1] ، يعد هنا أول ظهور للرأسمالية عندما أصبح الأوروبي ينتقل إلى بلدان الشرق فتطورت التجارة إلا أنها لم تستمر " فسرعان ما اضمحلت لأسباب داخلية، ولم تظهر الرأسمالية بقوة إلا بعد انتهاء القرون الوسطى ومع بداية القرن

---

[1]- حيدر غيبة، ماذا بعد إخفاق الرأسمالية والشيوعية؟ (نحو إيديولوجية جديدة للتوازن الاقتصادي والاجتماعي إسلامية وعالمية)، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1995، ص23 .

السادس عشر"[1] ، ويمكن اعتبار انجلترا من أشهر الدول التي عرفت صناعات اقتصادية فيما بعد حيث "تعرف الرأسمالية بأنها نظام اقتصادي نابع من فلسفة اجتماعية سياسية أساسها تنمية القدرات الفردية والمحافظة عليها وتعزيزها وتقليص الملكية العامة وإضعافها".[2] فالرأسمالية هي نظام قائم على الاستثمارات الفردية في إنتاج السلع الصالحة للبيع التي حلت محل الأساليب التقليدية في تلبية الحاجات الأساسية للمجتمع، فمنذ المراحل الأولى للثورة الصناعية إلى غاية ظهور الاقتصاد العالمي عملت الرأسمالية سلسلة من الثورات لتغيير عادات البشر.

ثانيا : أهم العوامل التي ساهمت في نشوء النظام الرأسمالي

ارتبط نشوء الرأسمالية مع بداية تكون الملامح الأولى للطبقة البرجوازية كطبقة مالكة لوسائل الإنتاج فقد كان التطور النسبي لإنتاج السلع في أواخر النظام الإقطاعي السبب الرئيسي في نشوء الطبقة البورجوازية ومن ثم الرأسمالية. إن المتغيرات التي رافقت النمط الإقطاعي في أوروبا في القرنين السادس عشر والسابع عشر حتى نهاية القرن الثامن عشر أدت إلى نمو البورجوازية ومن ثم ولادة النمط الرأسمالي مع أفكار وأسس ليبرالية كما صاغها آدم سميث (1723-1790) في شعاره الشهير "دعه يعمل اتركه يمر, بتعبير آخر سياسية حرية السوق دون أي قيود" ، " لم تتخذ الرأسمالية منذ بدايتها هذا الشكل المحدد ففي بادئ الأمر لم تكن الرأسمالية نظاما أو مصطلحا أو مفهوما، بل كانت عدة أساليب متفرقة لأداء الأمور أداء مختلفا وأثبتت هذه الأساليب نجاحا باهرا إلى حد أنها انتشرت سريعا".[3] فقد نمت حركة تسييج الأراضي وتربية الأغنام من أجل الاستفادة من صوفها وتعزيز صناعة

---

[1] – المرجع السابق، ص 23 .

[2] – تاريخ النظام الرأسمالي، موقع سطور ، https://sotor.com/ 2021/04/08 ، 15:30 .

[3] – جويس أبلبي، الرأسمالية، تر: رحاب صلاح الدين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر ، ط1، 2013، ص15.

النسيج الصوفي،وكان المستفيدين من هذا التطور هم الملاك لوسائل الإنتاج وهذا على حساب العاملين حيث يعتبر الرأسماليون من فئة التجار الاغنياء وغيرهم من المستفيدين من هذه التطورات بينما فئة العمال وأسرهم غرقت في الحرمان ومع طول فترة العمل التي أدت إلى فائض في القيمة وتراكم أرباح وثروة أرباب العمل، ناهيك عن تشغيل الأطفال دون سن قانونية وسوء شروط وظروف العمل سواء الصحية أو المادية، "مالك النقد السابق يسير في المقدمة كرأسمالي وصاحب قوة العمل يتبع أثره كعامل له أحدهما يبتسم ابتسامة ذات مغزى وتشتعل به الرغبة للشروع بالعمل والآخر يسير في اكتئاب ويحزن كشخص باع في السوق جلده الخاص"[1]

ومن أهم العوامل أيضا نجد تكوين رأس المال " وازدياد الأرباح الناجمة عن نمو حجم الأعمال وتضخم الأسعار وانخفاض الأجور زاد حجم التوفير وتكوين رأس المال، مما ساهم في سرعة الإنتاج بسبب اتساع قاعدته من مصانع وغيرها"[2]، وفي المقابل التخفيض في أجر العامل داخل هذه المصانع، فخلال " القرنين السادس عشر والسابع عشر بل وحتى منتصف القرن الثامن عشر صاحب تنامي الرأسمالية بروز الدول القوية في غربي أوروبا"[3] .

أيضا كان لدور الحكومات عامل لتطوير النظام الرأسمالي مثل تحرير التبادل التجاري من " القيود والعقبات داخل الدولة الواحدة وتأمين الأسواق الخارجية خارجها وإيجاد وسيلة تعامل نقدي موحدة، عملة قابلة للصرف وفي كل مكان مثل الذهب اضافة الى وبناء الطرق ووسائل المواصلات المناسبة وحمايتها".[4] مما دعت الضرورة إلى تفعيل دور الحكومة والمساعدة في وضع قوانين تدعم النظام الرأسمالي وتساعد في نشاطهم التجاري، حيث

---

[1]– كارل ماركس، رأس المال، نقد الاقتصاد السياسي. تر: فهد كم نقش، دار التقدم، موسكو، المجلد الأول، الجزء1، (دط)، 1985، ص 255.

[2] – حيدر غيبة، مرجع سابق ، ص 25

[3] – المرجع نفسه، ص 26.

[4] – نفسه، ص 26.

ركزت الرأسمالية المبكرة على الصناعة خاصة في إنجلترا ، هذه الاخيرة التي تعتبر أول دولة قامت فيها الثورة الصناعية فتعددت المصانع والاختراعات التكنولوجية مما ساعد على تراكم وتوسع الرأسمال.

ثالثا : أهم منظري الرأسمالية

آدم سميث الفيلسوف الاقتصادي وهو أول من جمع الأفكار الاقتصادية وعرضها بشكل نظرية اقتصادية موحدة وشاملة للأيديولوجية الرأسمالية التقليدية والكلاسيكية، يعتبر كتاب آدم سميث الذي يطلق عليه **بحث في طبيعة ثروة الأمم وأسبابها** من أهم مؤلفاته حيث تحدث فيه " عن تقسيم العمل وعن القيمة أي قيمة السلعة والتوزيع حيث اعتبر أن عنصر العمل في كل دولة هو الذخيرة التي تغذيها بكل حاجات الحياة ووسائل الراحة ، واعتبر مقدار العمل المتضمن في السلعة هو أساس أو معيار قيمتها الحقيقية "[1]، اعتبر سميث أن العمل هو عنصر فعال لنمو الدول وتقدمها كذلك جودة السلعة ومقدارها من أهم النقاط التي وجب التركيز عليها لتحقيق الربح فيجب التركيز على تطوير العمل، مثال على ذلك لما يكون لدينا مصنع سيارات يجب أن يكون في هذا المصنع عمال كل عامل يهتم بصناعة جزء من السيارة ولكل عامل مهمة معينة عندما يهتم أحد بالصيانة يتولى الآخر مهمة تركيب العجلات والآخر تركيب المحرك هنا تكون العملية سهلة والإنتاج أكثر وقد وضح سميث هذا بمثاله الشهير لمصنع الدبوس، "ينقسم العمل الكامل اللازم لتصنيع دبوس واحد إلى عدة فروع كل منها يشكل تجارة معينة عامل يسحب السكين وآخر يقوم ويخيطه الثالث والرابع يشحذه والخامس يشحذ النهاية لاستلام الرأس يتطلب صنع الرأس عمليتين أو ثلاث عمليات منفصلة".[2] وهذه المحاولة حسب رأي آدم سميث تحسن المنتوج ويتضاعف

[1] – المرجع السابق، ص 40 .

[2]– ايمون باتل، آدم سميث، تر: علي حارس، مؤسسة هنداوي، مصر، (د.ط،) 2018، ص35.

عما كان عليه، "يتخذ سميث موقفا معارضا لكسناي زعيم الاقتصاديين والطبيعيين الذي كتب قائلا: الزراعة هي مصدر كل ثروات الدولة وثروات سائر المواطنين".[1]

وعلى خلاف هذا الرأي يقول آدم سميث: "العمل السنوي الذي يقوم به كل شعب هو الرصيد الذي يمده بكافة ضروريات الحياة وكمالياتها مما يستهلكه كل سنة وتكون دائما إما من النتاج المباشر لذلك العمل ومما يشتريه ذلك الناتج من الخارج ".[2]

يقف سميث موقف المعارض للذين جعلوا من الزراعة الأساس أو المورد الوحيد لتحقيق الرفاهية للدول وجعل كافة الأعمال التي يقوم بها الإنسان موردا لتحقيق الربح لأن الموارد الطبيعية قد تؤول للزوال اما العمل اليدوي يبقى دوما.

رابعا : أهم منتقدي النظام الرأسمالي

يعتبر كارل ماركس من أهم الفلاسفة الذين انتقدوا النظام الرأسمالي حيث أحدث ثورة فكرية في عصره، رأى أن الطبقة العاملة التي تسمى البروليتاريا أنها طبقة تعاني أحوال البؤس والاستغلال والتهميش الأمر الذي جعل ماركس هنا يدعوا إلى إعادة النظر في هذا الوضع وأن السبيل أمام العاملين هو التحرر، ولكي تتحرر هذه الطبقة لابد لها أن تكف عن صمتها وتتصارع مع الطبقة التي استغلتها والقيام بثورة، من هنا عمل ماركس على أن يضع الخطوط العريضة لتصور جديد للعالم هو المادية المتماسكة، "وهو تصور يضم أيضا مجال الحياة الاجتماعية والجدل باعتباره أكثر نظريات التطور شمولا وعمقا ونظرية الصراع الطبقي ونظرية الدور الثوري التاريخي العالمي للبروليتاريا ".[3] وهذا ما خالفه المجتمع

---

[1]– احمد رباص ، نظرية تقسيم العمل من ادم سميث الى ايميل دوركايم
https://www.anfaspress.com/index.php/news/print/ 2021/04/09 ، 22:30 .

[2]– المرجع، السابق.

[3]– مجموعة مؤلفين، الماركسية الغربية وما بعدها (التأسيس والانحطاط والاستعادة)، دارالاختلاف منشورات صفاف، لبنان، ط1، 2014، ص90.

الشيوعي عن طريق الصراع بين الطبقتين التي سبق وأشرنا لهما لينتج نظام عادل ألا وهو النظام الشيوعي الحر حسب ماركس.

وقد أخذ ماركس فكرة الصراع من هيجل الذي وجد في صميم فلسفته الجدلية **الديالكتيك***، كما تمثل النظرية الماركسية أو المادية الجدلية التاريخية مجموعة من الأفكار التي تعمل على تفسير حركة المجتمع ، بالاعتماد على الديالكتيك الهيجلي يمكن فهم التاريخ، إلا أن ماركس قلب الديالكتيك الهيجلي على رأسه، " فهيجل إعتبر أن العقل هو الذي يحدد المادة بينما رأى ماركس أن العكس هو الصحيح أي أن المادة هي التي تصنع الفكر ".[1] مما يتجسد ديالكتيك هيجل عن طريق تصارع الأفكار للوصول إلى الفكرة الصادقة بينما يحصل ديالكتيك ماركس عن طريق تصارع الطبقات، ويمكن القول هنا أن " الجدلية حسب هيجل هي في نفس الوقت مفهوم ومبدأ للإدراك تتحكم في سير العالم، وهي تتقسم الطريحة (الطرح) والنقيضة (الطرح المضاد) والشميلة (التركيب) وهي بالنسبة له من تاريخ التضاد والذي هو في الأصل تضاد في الأفكار وعن طريقه يولد التطور الذي يتجسد في العقل"[2] هذا الجدل قلبه ماركس محاولا إثبات أن التصارع في الطبقات هو الذي سيقود في النهاية إلى ولادة قانون أو نظام عادل، وعموما " إن مفهوم الجدل هو جوهر النظرية المعرفية الماركسية وفي الوقت نفسه محرك النظرية الاجتماعية والتغيير الاجتماعي سواء

***الديالكتيك** : كلمة الجدل مشتقة من الكلمة اليونانية (techne) dialktike وهي ماخوذة من الكلمة dialegesthia يحاور وهي اصلا فن الحوار (انظر: ميخائيل انور، معجم مصطلحات هيقل، تر: امام عبد الفتاح امام، المجلس الاعلى للثقافة، الكويت، (دط)، 2000، ص 162)

[1] – يوسف رزين، فلسفة التاريخ من هيجل وماركس، مجلة الحوار المتمدن(مجلة الكترونية)، العدد 4008، 2013/02/19 .

[2] – المرجع نفسه .

الجزئي أو الجذري لكل ذلك ونجد ماركس ينتقد بعنف شديد هيجل لكنه يعترف له باكتشاف مفهوم الجدل"[1].

يمكن القول أن ماركس من خلال منهجه الديالكتيكي نادى بثورة ضد النظم المسيطرة على الطبقة العاملة، وتمثلت هذه الدعوة في مقولته الشهيرة اتحدوا يا عمال العالم، لأن هذه الطبقة تعاني الاستغلال " حيث أن الأجر الذي يتقاضاه العامل لا يتناسب فعلا مع الشغل الذي يقدمه فإن الفارق يستفيد منه رب العمل فيتحول إلى فائض القيمة والإنتاج الذي يزيد من رأسماله وعليه يزداد العامل فقرا ورب العمل غنى "[2]، فعوض أن يتقاضى العامل أجر عمله على أكمل وجه نجد أن رب عمله يستغل تعبه لصالحه والربح يستفيد منه لنفسه مما استدعى ضرورة أن ينتفض العامل.

يرى ماركس أن الهدف الرئيسي للرأسمالي في تنظيم علاقات الإنتاج هو إيجاد سبيل للسيطرة على العامل إلى أقصى الحدود بحيث يتجاوز هذا العامل في عمله ما يكفيه لتأمين عيشه بل وإنتاج كميات من الثروة تتجاوز هذه الثروة احتياجات العامل إلى ما يمكن الرأسمالي من استغلاله في تدعيم ملكيته على القوى الإنتاجية. " من سوء حظ العامل أنه رأسمال حي، ومن هنا رأسمال له احتياجات رأسمال يفقد فائدته ومن هنا معيشته في كل لحظة لا يعمل فيها وترتفع قيمة العامل كرأسمال طبقا للعرض والطلب وحتى من الناحية الجسدية فإن وجوده حياته كان ولا يزال ينظر إليه كعرض لسلعة كغيرها من السلع ".[3]

يعبر ماركس في كتابه رأس المال أن الثورة أساسية و حتمية لأنها تعد سبيلا لتحرير العمل من طابعه المزري، فوفرة الإنتاج جمدت عقول الثوريين وجعلتهم يرضخون للوضع

[1] – مجموعة مؤلفين، مرجع سابق، ص 36 .

[2] – المرجع السابق، ص49 .

[3] كارل ماركس، مخطوطات عام 1844 الاقتصادية والفلسفية، تر: محمد مستجير مصطفى، دار الطباعة الحديثة القاهرة، مصر، 1974، ص81.

الذي هم فيه ، ومن هنا يمكن القول بان ماركس صحيح انه عمل على التنبيه لقيام ثورة إلا ان حلمه لم يكتمل بفشل ثورته إلا انها لقيت فكرته هذه ضجيجا صاخبا لدى فلاسفة القرن العشرين لاسيما بعدما غزت التقنية العالم مكنت الطبقات المالكة من زيادة ثرائها . ومن اهم الفلاسفة الذين اتفقوا مع ماركس نجد ماركيوز الذي "يرى بان تقسيم العمل لا يتم على اساس عمل اي حساب لمواهب الافراد و مصلحة الكل بل يحدث وفقا لقوانين الانتاج الراسمالي للسلع فحسب "[1] و بمعنى أدق ان العمل يجري وفقا لقوانين يفرضها الراسماليون حسب اهواءهم ، كما لاحظ ماركيوز ان عقلانية السيطرة التي تقوم عليها المجتمعات الصناعية المتقدمة تعمل على تضليل النقد باليات جديدة كالإنتاج ومن هنا تصبح امكانية قيام ثورة امرا شبه مستحيلا ويمكن القول أن "خلاصة ماركيوز تتركز حول هذه النتيجة كلما أصبحت إدارة المجتمع الاضطهادي عقلانية منتجة تقنية وشاملة تعذر على الأفراد أكثر فأكثر تصور الوسائل الكفيلة بتحطيم أغلال عبوديتهم، وبوصولهم إلى حريتهم "[2] إن تطور الوسائل وتعددها جعل الطبقة العاملة تسعى للاستهلاك والتأقلم مع هذه الوسائل لأنها هي التطور أو لأنها هي لغة العصر، فعندما يخرج العامل من المصنع يجد نفسه غارقا في الاستهلاك لن يكون له الوقت لكي يفكر في الحرية أو الثورة لأنه يعتقد أن كل شيء بين يديه الآن.

[1] – هاربرت ماركيوز، العقل والثورة (هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية)، تر: فؤاد زكرياء ، الهيئة المصرية العامة للتألف والنشر، مصر، (د.ط)، 1970، ص 267 .

[2] – عبد الله إبراهيم، المركزية الغربية(إشكالية الكون والتمركز والذات)، المركز الثقافي العربي ، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص 348.

المطلب الثاني : السيطرة التقنية ومجتمع البعد الواحد

تمهيد

إن التقدم التقني الهائل الذي اجتاح الدول الغربية في القرن العشرين زاد من قوة الرأسمالية على حساب العمال الذين يتباهون باستهلاك ما ينتجون مما زاد الوضع فقرا وهم لا يدركون سبب فقرهم ، فإن كثرة الانتاج وتنوعه امتص طابعهم الثوري وأصبحوا يعيشون وهم الحرية ويعد هربرت ماركيوز من اهم فلاسفة القرن العشرين الذي وجه نقدا للغزو التقني الذي اجتاح مجتمعه وحول الحال الذي وصل اليه العمال والمستهلكون بسبب تطور التكنولوجيا مما اصبحوا يسيرون وفق بعد واحد حسب رأي هاربرت ماركيوز.

أولا : تحليل ماركيوز للمجتمع ذو البعد الواحد

يعد كتاب هاربرت ماركيوز **الانسان والبعد الواحد** والذي نشرة سنة 1964 كأبرز اعماله التي كانت لها صدى على الطابع الفكري طرح فيه العديد من الاسئلة التي لم يكن لها جواب في ذلك الوقت حيث تساءل عن سبب عدم قيام ثوره بروليتاريا في البلدان المتطورة صناعيا بالرغم من ان هذه الثورة مهد لها منذ اكثر من 100 سنة لان الطابع الثوري طرح من قبل من طرف كارل ماركس كما سبق الذكر وبما أن ماركيوز من ابرز رواد مدرسة فرانكفورت النقدية فانه ضمن المفكرين اليساريين، ومن هنا عمل ماركيوز على تحليل أحوال مجتمع عصره انطلاقا من مبادئ الفلسفة الماركسية وفي نفس الوقت عمل على مخالفتها في كثير من الجوانب وذلك راجع لتلاشي العديد من مفاهيمها وأسسها فهي لم تعد صالحة لمعالجة مشاكل المجتمعات لأنه تم دمجها ، لأن الطبقة البرجوازية حسب ماركس في نهاية المطاف ستعمل على تدمير نفسها بنفسها وأنها ستزول لا محالة ، إلا ان الواقع الآن بين عكس ذلك فالبلدان المتطورة صناعيا بسبب وفره الانتاج وكثرته وتقدم وسائل التكنولوجيا (التقنية) والإغراء جعلت المجتمع ذو بعد واحد اي يفكرون بنفس التفكير

ويلبسون نفس الثياب ويستهلكون نفس المنتوج والمواد وهذا ما جعلهم يعتقدون انهم احرار حيث يقول ماركيوز في مقدمه كتابي الانسان والبعد الواحد " العامل ورب العمل يشاهدان نفس البرنامج التلفزيوني وسيكريتيرا ترتدي ملابس لا تقل الاناقة عن ملابس ابنه مستخدمها والزنجي الذي لا يتمتع بحقوقه المدنية يمتلك سياره كاديلاك فارهة لكن هذه المظاهر لا تعني ان الطبقات قد زالت وانما تدل في الحقيقة على مدى مساهمة الطبقات السائدة وتحديد الحاجات التي تضمن استمرار السيادة لها."[1] وهنا عند مقاربة يبين ماركيوز أن النشاطات التي يقوم بها كل من العامل ورب العمل نجدها متقاربة كثيرا كذلك عند مقارنه السيكريتيرا نفسها بابنه رئيسها والزنجي بالبرجوازي فأنهم سيعتقدون بأنهم متساوون مع اسيادهم وأحرار ولا يوجد اي انقسام طبقي وأنهم يعيشون الرفاه مما ادى الوضع الى اندماج الطبقة العاملة مع الطبقة البرجوازية واختفت روح الصراع وتشكل مجتمع بلا معارضه ، فمن خلال ارضاء الطبقة المستغلة بحاجات شكليه عاشوا وهم الحرية وحاله من الإغتراب* "حيث تخلق فيهم الاعلام والدعاية طرز للحياة وهو بلا أدنى شك طرز لحياه افضل من السابق ولكنه من هنا بالذات يكتسب مناعة ضد كل تغير نوعي وهكذا يتكون الفكر والسلوك الاحادي البعد "[2] فبمساعدة من وسائل الدعاية عملت الطبقات الحاكمة على تنويم الروح الثورية للمجتمع الصناعي، كما "يلقى الفكر الاحادي الجانب تحبيذا وتشجيعا دائما من صناع السياسة ومموليهم بالإعلام الجماهيري "[3]، ويتبين بذلك ان الاعلام تدعمه أيادي سياسية خفية ، يعمل وفقا لخدمه مصالحها وفرض سلطتها بطريقه غير مباشره وهكذا أصبح المجتمع العقلاني لا عقلانيا "وما خداع العقل إلا العقل الذي يعمل كما عمل في غالب الأحيان

---

[1] – هاربرت ماركيوز، الانسان ذو البعد الواحد، مصدر سابق، ص13

***الاغتراب** : هو ان يفقد الانسان حريته و استقلاله الذاتي بتاخير اسباب اقتصادية او اجتماعية او دينية ويصبح ملكا لغيره او عبد للاشياء المادية وان تتصرف السلطات الحاكمة فيه كتصرفها في السلع التجارية (انظر: جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، (دط)، 2004، ص37)

[2]– هاربرت ماركيوز، الانسان ذو البعد الواحد، مصدر سابق، ص 48 .

[3] – المصدر نفسه، ص 50 .

لصالح السلطات القائمة "[1] مما يتحول في نهاية المطاف المجتمع العقلاني المتقدم تقنيا الى مجتمع اداتي فاقد للوعي فالنظام السائد لم يزيف الحاجات الانسانية المادية فحسب بل زيف الحاجات الانسانية والفكر أصلا يعد عدو لدود لمجتمع السيطرة لأنه يمثل قوة العقل النقدية التي تتحرك دوما باتجاه ما يجب ان يكون لا باتجاه ما هو كائن وهذه القوة في النهاية هي قوه مجتمع البعد الواحد قد أحاط الايديولوجيا الازدراء والتحقير تحت اسم عقلانية التكنولوجيا.

ومن بين الأسباب التي أدت إلى عدم المعارضة ايضا حسب رإي ماركوز راجع الى "سياسة نظام الحزبين الإثنيين وأفول نظام تعدد الاحزاب وتواطؤ الرأسمال "[2] فعن طريق تقليص الاحزاب وحصرها في حزبين اثنين استطاعت النظم السياسية التحكم في الشعب ومطالبه فهي لم تتركه مكتوف اليدين دون حزب يدافع عنه وفي نفس الوقت حصرت الاحزاب في حزبين فقط وهنا يحسب الفرد انه حر ويتمتع بحريته التعبير الا انه في الواقع مقيد بما تمليه عليه قوانين الحزبين لا اكثر فبمجرد انها حصرته بين حزبين فإنها كبلت حريته هذا الامر الذي تفطن له ماركيوز من خلال تحليله للمجتمع الصناعي ، وحتى الاحزاب المعارضة التي تدافع على حقوق العمال والتي كانت عبارة عن همزة وصل بين العامل ورب العمل تم افراغها من مبدأها وفكرها المعارض وتم التمكن من خداعا فأصبحت هي الاخرى تخدم مصالح النظام وفي النهاية يكون الرابح الاكبر صاحب العمل طبعا، وبهذا لا وجود للديمقراطية في المجتمعات الغربية بل يوجد وهم ديمقراطية او يمكن القول ديمقراطية شكليه فحسب

ثانيا : الإغتراب في فلسفه ماركيوز

---

[1] – هاربرت ماركيوز، الانسان ذو البعد الواحد، المصدر السابق، ص 51 .

[2] – المصدر نفسه، ص 29 .

كما سبق الذكر ان ماركيوز من اشد المتأثرين بأفكار ماركس حيث اخذ منه مصطلح الاغتراب وطبقه على مجتمع البعد الواحد إلا ان اغتراب ماركيوز يختلف عن اغتراب ماركس قليلا حيث يعتقد هذا الاخير ان العمال تعي احوال الاغتراب التي تعيشها فالعامل في مجتمع ماركس يقضي معظم اوقاته داخل المصنع ومع طول الساعات التي يقضيها في العمل والإرهاق البدني جعلت منه يعيش الاغتراب وهو مدرك لاغترابه ، أما بالنسبة لمجتمع ماركيوز فالوسائل التقنية في المجتمع تطورت على ما كانت عليه سابقا مما ادى ذلك الى تقليص ساعات العمل غير ان الاستلاب والاغتراب امتد لساعات الفراغ لدى العامل مما ادى الى اغترابه دون ان يعني ذلك و كما سبق الذكر ان الغرق في الاستهلاك هو الذي قاده الى هذه الحالة من اللاوعي يقول ماركيوز" يشرح ماركس اغتراب العمل كما يتمثل اولا في علاقة العامل بتاج عمله وثانيا في علاقة العامل بنشاطه الخاص ، فالعامل في المجتمع الرأسمالي لا ينتج سلعا (...) وهكذا يصبح العمل ضحية قوة خلقها هو ذاته"[1] مما يشير هذا القول إن مظهر الاغتراب يكمن في العمل الذي يقوم به العامل.

[1] – هاربرت ماركيوز ، العقل والثورة ، مصدر سابق ، ص 270 .

الفصل الثاني

البعد الديالكتي للتقنية

المبحث الأول : الطبيعة الديالكتيكية للتقنية عند هاربرت ماركيوز

المبحث الثاني : التقنية و الفن : البعد الجمالي للتقنية والكمون التحرري للفن

المبحث الاول : الطبيعة الديالكتيكية للتقنية عند هاربرت ماركيوز

المطلب الاول : التقنية أداة للسيطرة

تمهيد

يعد المنهج الديالكتيكي على أنه أساس الحقيقة القائلة أن جميع الأشياء وكذا الحقائق (السياسية ، الاقتصادية ، الطبيعية... إلخ) في مختلفها هي حقائق ذات طابع متغير وفي حالة صراع دائم وأن هذا التضاد القائم هو أساس تطور الحياة و قد اعتمد هاربرت ماركيوز هذا المنهج في فلسفته كحل لمشكلة الفكر الغربي المعاصر ألا وهو فكر المجتمع الصناعي المتقدم ، وقبل التعمق في ديالكتيك ماركيوز وجب التعرف عن ماهية هذا المنهج و تحديد منطلقاته الفكرية و التغيرات التي طرأت عليه واختلاف الآراء حوله .

أولا : في تاريخ الديالكتيك

كما سبق الذكر أن الديالكتيك يعبر عن كلمة يونانية تعني تبادل الأراء إلا أن مفهومه يختلف في طبيعته حسب كل فيلسوف ووجهات نظرهم ، وبما أن الديالكتيك مأخوذ من كلمة يونانية فإن أصوله راجعة للفكر اليوناني .

1-الديالكتيك عند اليونان : يعني الديالكتيك في الفكر اليوناني فن الوصول إلى الحقيقة وهي عملية حوارية تنتهي بإدحاض الفكرة الخاطئة وإبراز الفكرة الصادقة و سيتم عرض بعض الآراء حول ديالكتيك اليونان حسب كل فيلسوف ، فديالكتيك سقراط "يدور على كيفية طرح السؤال من أجل أن يحمل خصمه على الاقرار بالجهل وهذا ما يسمى بالتهكم السقراطي أي السؤال من تصنع الجهل "[1] اعتمد سقراط منهج الديالكتيك من أجل إيقاع خصمه في الخطأ (السفسطائيين) الذين كانوا يعلمون أبناء أثينا حقائق خاطئة و

[1] مراد وهبة، قصة الديالكتيك، دار العالم الثالث، القاهرة، مصر، ط1، 1997، ص 09.

ادعائهم أنهم يملكون الحقيقة ، فجاء سقراط بمنهج التهكم والحوار وادعائه الجهل ليوقع أعداء الحقيقة في شباكه وينتهي بهذا الحوار توليد الأفكار الصحيحة الحقيقية اليقينية . أما بالنسبة لديالكتيك أفلاطون هو عبارة عن عملية تذكرية "إذا كانت النفس قبل اتصالها بالبدن في صحبة الآلهة تشاهد فيما وراء السماء موجودات ليس لها لون ولا شكل ، ثم ارتكبت إثما فهبطت إلى البدن ، فهي إذا ادركت الظواهر الحسية تذكرت حقيقة هذه الظواهر والظاهرة في حقيقتها مردودة إلى مثال. ولهذا قال أفلاطون إن العلم تذكر و الجهل نسيان "[1] إذا ربط أفلاطون الديالكتيك بالتذكر الذي يعتبر حكم من أحكام العقل وهذا التذكر مربوط بعالم المثل العالم الذي توجد فيه كل الحقائق المطلقة و عند نزول الإنسان لعالم الحس ويحاول استرجاع الأفكار والمبادئ التي تعلمها في العالم العلوي بالاعتماد على ملكة التذكر إذن ديالكتيك أفلاطون مرتبط بالجدل الصاعد و النازل وأن هناك صلة بين العالم المحسوس والعالم المعقول ، وقد رفض ارسطو الديالكتيك لأن الديالكتيك يجهل مبدأ التناقض (الفكرة و نقيضها) ومن أحكام المنطق ومبادئه رفض مبدأ التناقض وأن الديالكتيك سيؤدي إلى تصارع "بين الطبقة الارستقراطية و طبقة العبيد (...) ويلزم من هذا التحديد أن ليس ثمة مجال للصراع فمن شأن الصراع أن يدور على المتناقضات وعلى تداخلها ، الأمر الذي يخالف مبدأ عدم التناقض "[2] ومن أجل البقاء على الوضع الاجتماعي القائم وجب على ارسطو أن يدحض مشروعية الديالكتيك والتخلي عنه.

2-الديالكتيك في الفلسفة الحديثة : يمكن ذكر بإيجاز بعض ملامح الديالكتيك عند الفلاسفة المحدثين ومن بين هذه النماذج نجد " توماس هوبز (1588-1679) في العلاقة بين الجوهر والأحوال ، وعند رونيه ديكارت (1596-1650) في النفي المتبادل بين النفس والجسم ، إذ هما جوهران متضادان فالنفس روح بسيط مفكر ، والجسم إمتداد قابل

[1] - مراد وهبة، قصة الديالكتيك، المرجع السابق، ص 09 .

[2] - المرجع نفسه، ص 13

للقسمة، وعند جوتفريد فيلهم ليبنتز (1646-1716) في العلاقة بين حقيقة العقل وحقيقة الواقعة "[1] تعتبر هذه الملامح عبارة عن إرهاصات تمهيدية لعلم الديالكتيك في العصر الحديث حيث ساعدت هذه الارهاصات إلى تكوين علم جديد .

ثم عرف الديالكتيك صدى كبير عند الفيلسوف هيقل والذي كما سبق وأن اشرنا له أن ديالكتيك هيقل يعبر عن صراع الافكار لإنشاء فكرة صادقة تصلح لكل زمان ومكان " لقد جعل هيقل من استقرار الفلسفة في عالم الفكر تعريفا جوهريا إن الفلسفة برغم أنها توفق بين الأضداد في العقل ، إلا أنها تزودنا بتوفيق لا في الواقع بل في عالم الأفكار"[2] ومن هنا مهمة الفلسفة لا تخرج عن طابعها الجدلي القائم في الذهن وعالم الأفكار، بينما كارل ماركس ربط الديالكتيك "نضال الجديد ضد القديم وحتمية انتصار الجديد فإنه يخدم القوى الاجتماعية التقدمية في نضالها ضد العلاقات الاجتماعية التي ولى زمانها و ضد القوى الطبيعية الرجعية وفي أيامنا هذه فإن الديالكتيك يمثل وسيلة فعالة بأيدي الطبقة العاملة وأحزابها الماركسية لمعرفة العالم وتغييره ثوريا "[3] هذه الحركة الجدلية هي أساس تطور حياة البشرية و خاصة حياة الطبقة الكادحة، ومن خلال هذا كله يتبين أن الديالكتيك هو تعبير عن كل تناقضات داخل قضايا تسعى لبلوغ اليقين والديالكتيك أنجح منهج لبلوغ الحقائق .

ثانيا : الفلسفة الإيجابية و إحباط الديالكتيك

عملت الفلسفة الوضعية على إحباط الديالكتيك وإحتلالها مكانة مرموقة في الفكر الأولي الأوروبي ومن أهم مبادئ الفلسفة الوضعية إلغاء التفكير السلبي و التناقضات داخل

---

[1] – المرجع السابق، ص 23 .

[2] – هاربرت ماركيوز، فلسفة النفي (دراسات في النظرية النقدية)، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، مكتبة دار الحكمة، دار الحكمة ، مصر، ط1، 2012، ص 147

[3] – افاناسيف، اسس الفلسفة الماركسية، تر: عبد الرزاق الرصافي، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط4، 1984، ص 12 .

المجتمع "وتخص الفكرة على ان يقنع بالوقائع ويتخلى عن أي تجاوز لها و على أن ينحني أمام الأمر الواقع "[1] و في هذه الدعوة رفض لجدل هيقل ، ومن أهم رواد هذه الفلسفة نجد

اوجست كونت حيث يذهب كونت إلى أن " السياسة الوضعية التي يحبذها تتجه بطبيعتها إلى دعم التظام العام "[2] فتمتص الوضعية عن طريق هذا الدعم روح السلب ، عمل كونت على وضع أسس لهذه الوضعية يقوم مفادها على دعم النظام العام وعدم الخروج عن سيطرته فقد "فصل كونت النظرية الاجتماعية عن ارتباطها بالفلسفة السلبية ووضعها في فلك المذهب الوضعي (الإيجابي) و في الوقت ذاته تخلى كونت عن الاقتصاد السياسي بوصفه أصلا للنظرية الاجتماعية و جعل من المجتمع موضوعا لعلم مستقل هو علم الإجتماع"[3] لأن علم الاجتماع هو علم يقوم على الثبات لا يحمل داخل جذوره النفي نتيجة " لتخليه عن وجهة النظر المتعالية التي يتخذها النقد الفلسفي وأصبح ينظر إلى المجتمع الآن على أنه مجموعة مركبة من الوقائع متحددة بدرجات متفارقة تحكمه قوانين عامة "[4] فلا يمكن تغييرها أو استبدالها فهي ثابته دوما ولا جدال فيها لأن هذا النظام في نظر كونت هو نظام يدعو للسلم و تحقيق السكون و الهدنة في المجتمع إذن " الفلسفة الوضعية هي السلاح الوحيد القادر على محاربة القوة الفوضاوية للمبادئ الثورية الخالصة و هي وحدها اللتي يمكن أن تنجح في امتصاص النظرية الثورية الشائعة و فضلا عن ذلك فإن الواقع عن النظام سيجلب فوائد أعظم إذ أن السياسة الوضعية سوف تتجه تلقائيا إلى تحويل الانتباه المبالغ فيه إلى الرأي العام"[5] و من الفوائد التي قد تنتج عن هذه السياسة عدم التصارع او تغلب طبقة على طبقة و بهذا يرضخ المجتمع لسياسة الاستسلام " والاستسلام

[1] – هاربرت ماركيوز، العقل والثورة، مصدر سابق، ص 49

[2] – المصدر نفسه، ص 331 .

[3] – نفسه، ص 327 .

[4] – نفسه، ص 327.

[5] – نفسه، ص 331 .

لفض رئيسي في كتابات كونت مستمدة مباشرة من قبول قوانين اجتماعية ثابتة لا تتغير "[1] وغير قابلة للنقد ويرى كونت أيضا أن القوى المؤقتة التي تتحكم في المجتمع أنها ازدادت أمانا بفضل السياسة الوضعية التي هي وحدها القادرة على أن تغير الناس و تثبت لهم أنه ليس ثمة حقيقة لأي تغيير سياسي في الوقت الراهن وإن كان هناك قوى تريد التغيير فعليها أن تندمج مع النظام السياسي القائم لأنه السبيل الوحيد الذي يحقق رغباتهم وعليه فلا داعي لمخالفته مما يمكن القول أن كونت لا يدعو للتحريض " وإذ كانت فكرة التقدم تحتل مكانة هامة في علم الاجتماع عند كونت و لكن قوانين التقدم كانت جزءا من جهاز التنظيم القائم حيث هذا الأخير يقدم بهدوء إلى مرحلة أعلى دون أن يكون من الضروري هدمه "[2] ولا تغييره بل يمكن القول هو أحسن قانون يمكن له ان يدوم بطريقة طبيعية هادئة إذن " السعادة هي الاحتماء بذراع قوية هذه الفكرة التي هي من أخص مميزات المجتمعات الفاشية في وقتنا الحالي ترتبط بالمثل الوضعي الأعلى لليقين والخضوع لسلطة شاملة يتيح أقصى درجة من الأمان و يزعم كونت أن اليقين الكامل للنظر و العمل من الإنجازات الأساسية التي حققها المنهج الوضعي "[3] والذراع القوية بالنسبة لفلاسفة علم الاجتماع وبالأخص كونت هي الفلسفة الإيجابية و كلما تقدمت المدينة نحو الأفضل ازدادت اقترابا بالجانب الإيجابي للفلسفة الوضعية .

كما نجد إن كونت اهتم بطبقة العمال التي يرى أنها لم تجد من يمد لها يد العون فرأى كونت انه من الواجب ان تكون هذه الطبقة جنبا الى جنب مع النظام ولا يحق لها أن تخرج عن نطاقه وإن تمردت وخرجت فستعبر على " خطأ لا أخلاقي مشؤوم وهو خطأ يتعين على الوضعية ان تستأصله إذا شاءت أن تحافظ على النظام الصناعي الذي يحتاج

---

[1] – هاربرت ماركيوز، العقل و الثورة، المصدر السابق، ص 331 .

[2] – المصدر نفسه، ص 333.

[3] – نفسه، ص 336 .

إليه المجتمع في أداء وظائفه "[1] فالسيادة الوضعية تقدم حياة أفضل لمناصريها وهي في سعي دائم لتحقيق العدل وتحقيق ما يحتاجه كل أطراف المجتمعات دون تهميش أحد على آخر بل " ستؤدي إلى تحسين وضع الطبقة العاملة وذلك أولا في التعليم وثانيا عن طريق إيجاد العمل والصورة التي تتطلع الوضعية إليها هي صورة دولة شاملة متدرجة المراتب "[2] وهذا النظام الجديد نظام لا يخرج عن الأخلاق التي تحمل مبدأ الواجب هذا الواجب الذي على الوضعية التقيد به لحل مشاكل الناس وتحسين مستواهم المعيشي إلى الأفضل خاصة الرقي بالتعليم وحفظ حقوق العمال.

أخذت الفلسفة الوضعية الألمانية اتجاها مخالفا عما كانت عليه في فرنسا مع كونت ومع تغيير النظام في ألمانيا سعت الأنظمة الجديدة على التخلص من الفلسفة المثالية الهيقلية وضعت مكانها الفلسفة الوضعية (الإيجابية) فالنظام الملكي وجد في الوضعية سندا يضمن له الاستمرار والبقاء ومن بين أهم منظريها فريدرش شتال فقد وضع هذا الأخير حلا وسطا يشمل مطالب الذين يدعون لتطبيق نظام مطلق عام في دستور نيابي " ومن الواضح أن محور فلسفة شتال يكمن في اتجاهها إلى التوفيق بين النزعة التسلطية اللاعقلية وبين التطور الاجتماعي للطبقة الوسطى مثال ذلك أنه جمع بين نظرية الملكية القائمة على العمل و بين النظرية الإقطاعية القائلة أن كل ملكية هي في نهاية المطاف منحة من السلطات "[3] وفي هذه دعوى لنقد النزعة العقلية لأن شتال يرى بأن النزعة العقلانية هي التي تقود للنزعات والصراع داخل المجتمعات مما يدعو الأمر إلى ضرورة مهاجمتها وعدم العمل بمنهجها بمعنى أن العقلانية دوما في مفهومها تعمل على قيام الثورة في العالم السياسي أن النظام الاجتماعي السياسي هو قانون من وضع الله و كل قانون نابع من حكم إلاهي لا يمكن تغييره و لا كلام فيه ، وإذا كانت الوضعية ردا على الهيقلية فسيذهب شتال هو الآخر

---

[1] – هاربرت ماركيوز، العقل و الثورة، المصدر السابق، ص 341 .

[2] – المصدر نفسه، ص 341 .

[3] – نفسه، ص 348.

الى نقدها " فنظرية هيقل في رأيه قوة معادية ووهي هدامة في أساسها و جدله يلغي الواقه المعطي و نظريته تحتل منذ البداية نفس الأرض التي تحتلها الثورة و لما كانت فلسفته السياسية عاجزة عن إثبات الوحدة العضوية بين الرعايا والشخصية الواحدة العليا (الله ، الملك ، السلطة) فإنها تهدم أسس النظام الاجتماعي والسياسي السائد "[1] ، القانون عند شتال يقوم على النظام وفكرة النظام مأخوذة من الله و قانون الله أعدل قسمة بين الناس إذن القانون الاجتماعي السياسي الجديد في المانيا عند شتال هو قانون الله وضمانا إلاهيا أما فلسفة هيقل فهي تسعى لنفي هذه الحقيقة لذا وجب التخلي عنها لأنه انتهى زمانها .

وقد عبر ماركيوز عن فكرة احباط منطق التناقض في مجتمعه منذ ان ارتبط العقل بالعقلية التكنولوجية و طغت عليه الفلسفة الوضعية ، مما " عارض الفكر الايجابي الفكر السلبي الى ان كفلت منجزات الحضارة الصناعية الانتصار للواقع الاحادي البعد وخفضت من وحدة مختلف التناقضات "[2] ، شهد مجتمع ماركيوز ثقافة صناعية ضخمة هذه الثقافة انبهر منها المجتمع وتمسك بها مما وجدت الوضعية سهولة لوضع اقدامها على ارض هذه الحضارة " بالنظر الى طبيعة المجتمع الصناعي المتقدم بالذات ذالك المجتمع الذي تندمج فيه القوى الاجتماعية التي كانت في الماضي سلبية ومتعالية بالنظام القائم وتبدو وكأنها تخلق بنية اجتماعية جديدة "[3] وكلما ارتبط تفكير المجتمع بالواقع كلما سلبت منه طبيعته النقدية لأنه سينغمس في الحياة المادية ويغفل عن حياته التي يجب عليه بلوغها " والحق انه بمقدار ما يكون الفكر والسلوك مرتبطين بالواقع المعطى فأنهما يعبران عن وعي كاذب و يساهمان في البقاء على نظام زائف للوقائع وهذا الوعي الكاذب يجد تعبيره في جهاز تقني سائد و مهيمن "[4] لان كل ما يعبر عن الواقع هو تعبير عن كل ما هو علمي مبتكر مادي

[1] – هاربرت ماركيوز، العقل والثورة، المصدر السابق، ص349.

[2] – هاربرت ماركيوز، الانسان ذو البعد الواحد، مصدر سابق، ص 164.

[3] – المصدر نفسه، ص 182 .

[4] – نفسه، ص 182.

وسيقود لا محالة إلى اللاعقلانية أو إلى عقلانية زائفة ومع تزايد تطبيقات العلم ونجاحها تزداد الأرباح ويتفاقم الإنتاج فترتفع مكانة الوضع الاجتماعي أما في مقابل ذلك هذا التقدم يقود إلى الاستبداد والتحكم في أوضاع وحياة الأفراد ، وإذا كان هدف النظام الذي يدعم العلم هو التخلص من الأسطورة و فتح نافذة الحرية فإنه " بهدم أسطورة العصر الوسيط هو مرغم الآن على الاعتراف بأن كل ما فعله هو أنه أحل أسطورة محل أخرى "[1] هذه الأسطورة الجديدة هي سيطرة التقنية والتكنولوجيا بحجة العلم فيصبح العلم مرادفا لمصطلح التكنولوجيا و واقع الإنسان " بات خاضعا لجهاز تقني يزيد من رغد الحياة ورفاهيتها كما يزيد من إنتاج العمل "[2] وهذا ما تمت الإشارة له سابقا بأنه كلما زاد ارتباط الإنسان بالتقنية أصبحت وسيلة يعبر بها عن حريته ويمكن القول أن الوضعية التي سادت في عصر ماركيوز هي وضعية تحتمي وراء العلم وتطوراته حيث أنه كلما تقدمت المعدات التكنولوجية كلما ازداد مبدأ الإيجاب والتغلغل في حياة المجتمعات في المقابل غياب السلب.

ثالثا : آليات القمع و السيطرة التقنية على العقل الإنساني

عملت العقلانية التكنولوجية على قمع العقل الإنساني والتحكم فيه والعمل على تغيير معايير الحقيقة لديه وذلك في كافة مجالات حياته ومن بين هذه الآليات نجد :

1-على الصعيد اللغوي : تعبر اللغة عن آراء الناس و هي وسيلة تواصل و همزة وصل بين الإنسان وأفكاره لذا " أدركت العقلانية التكنولوجية أن فاعلية السلطة لا تمثلها هياكل جوفاء وأن الأساليب التقليدية فقدت فعاليتها ولأن هذه العقلانية ترتكز على مبادئ السيطرة والشمولية فقد استقرت مدى أهمية اللغة و حيويتها ومالها من سلطة وقدرة على التوجه ، وما يستوجب توظيف اللغة بالكيفية التي تناسب توجيه الإنسان نحو فضاء البعد

---

[1]- هاربرت ماركيوز ، الانسان ذو البعد الواجد، المصدر السابق، ص 188 .

[2] - المصدر نفسه، ص 190 .

الواحد "[1] ، وبما أن اللغة تعد عامل مهما من العوامل التي تساهم على تفعيل الوعي وجب تفعيلها لمصالح السيطرة و الهيمنة وذلك من خلال تفريغها من معاينها النقدية والمصطلحات التي تحمل مفاهيم ذات معارضة وهذه العملية تساعد على طمس التعبير الناقد للنظام وفي المقابل العمل على أن تشيع مصطلحات تحمل داخلها الخضوع والطابع الإيجابي ذلك أن "تشكيل الوعي محددا إتباعا لما تحمله اللغة من ألفاظ ومعاني وهنا يتدخل مجددا مبدعو عقلانية السيطرة والاحتواء لضبط ما يجب أن يمر من ألفاظ ومصطلحات حتى يضمن تشكيل وعي ملائم "[2] لا يتناقض مع ما هو كائن بل يدعمه ، إضافة إلى أن وسائل الإعلام والاتصال الجماهيري تساعد على تلقين ألفاظ ومعاني تجعل المتلقي ينبهر بها "فوكلاء الإعلان يصنعون عالم الاتصال الذي يترجم في السلوك الأحادي البعد ولغة هذا العالم هي لغة توحد وتوحيد ترتقي منهجيا بالفكر الإيجابي و العمل الإيجابي "[3] وبطريقة سلسة في داخلها إحباط التفكير النقدي .إذن يعمل النظام السائد دوما على تنميط اللغة حيث يصبح العقل يتقبل التناقضات وقد مثلها ماركوز في قوله " القنبلة النظيفة والإشعاعات الذرية اللا مؤذية "[4] حتى اللغة تم غزوها وتفريغها من النقد فأصبحنا نقبل التناقضات رغم أنها كلمات وجمل غير مفهومة لأنه لا توجد قنبلة نظيفة إما أن تكون قنبلة مدمرة أو لا تكون قنبلة أصلا ، إلا أن الإعلام غرسها في أذهاننا فأصبحنا نتقبلها بشكل عادي

2- على الصعيد الثقافي : يبين ماركيوز أن المجتمعات الغربية أفرغت من ثقافتها الحقة " فالعناصر المعارضة المغتربة المتعالية التي كانت الثقافة الرفيعة تشكل بفضلها بعد آخر للواقع ، هي في سبيلها إلى الزوال و تصفية الثقافة الثنائية البعد ."[5] حتى الثقافة عمل

[1]- جمال براهمة، الانسان والوعي في فلسفة هاربرت ماركيوز، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة، قسم الفلسفة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2011/2010، ص 21 .

[2] – المرجع نفسه، ص 21 .

[3] – هاربرت ماركيوز، الانسان ذو البعد الواحد، مصدر سابق ، ص 122

[4] – المصدر نفسه، ص 126 .

[5] – نفسه، ص 92

النظام على توجيهها لبعد واحد مما تكون مجتمع ذو ثقافة واحدة يقرؤون نفس الكتب ويأكلون نفس الأكل ويتأثرون بنفس العوامل " وإذا كانت هذه الثقافة قد شوهت فهذا لأن المجتمع الصناعي المتقدم يملك الآن إمكانية تجسيد مثلها العليا ، فهذا المجتمع قادر على أن يقلص تدريجيا المجال المتسامي الذي صور شروط الإنسان و أضفى عليه صفة مثالية ووضعه للاتهام وهكذا تصبح الثقافة الرفيعة جزء لا يتجزأ من الثقافة المادية "[1] لأن كل ماهو مادي مبتكر جديد هو الذي سيتماشى مع عقلية الوضع الراهن ، وبما أن النظام يسعى لتطبيق سياسة تتقبل التناقضات نجد أن الأقلام عبارة عن وسائل مشفرة تحمل في طياتها سياسة السيطرة وثقافة جديدة ومن بين الثقافات التي يحاول النظام تبيينها للمجتمع نجد " المرأة الشهوانية الجامحة والبطل القومي والفتى الغاضب وربة البيت المنهارة عصبيا ، رجل العصابات ، النجم اللامع ، الزعيم ، القائد الساحر ولهؤلاء وظيفة مغايرة ومعاكسة لوظيفة روادهم الثقافيين ، فهم معادو صور الأسلوب الآخر في العيش[2] بل صور العيش الموجود فما عاد ينظر لهم على أنهم حالات شاذة فهم بالأحرى يسعون لتوكيد عقلية النظام وهذه ثقافة العصر وهذا هو الوضع القائم الآن .

3-على الصعيد النفسي (الغرائزي) : إن القمع الذي فرضته المجتمعات المتقدمة صناعيا لم يكن حكرا على حاجات الإنسان الخارجية فقط بل تغلغل داخل نفسية الفرد والهدف من ذالك واضح تكبيل حريته ، بين ماركيوز أن العقلانية التكنولوجية تعمل على تحريك دوافع الإنسان الغريزية ومنه تكون الممارسات الجنسية والرغبات الغريزية المكبوتة مباحة ولا حرج منها "يعرض الجنس كأنه مطلب طبيعي عضوي يستدعي الإشباع فيغدو الإنسان مقبلا ومطيعا لمتطلبات جسده من تحفيز ملح لوعي مشكل ومساندة ضمير مطمئن "[3] هذا التحفيز على تلبية رغبات الجنس المكبوتة يلقى دعم من سياسة القائمة بل يمكن

[1] – هاربرت ماركيوز، الانسان ذو البعد الواحد، المصدر السابق، ص 93 .

[2] – المصدر نفسه، ص 94

[3] – جمال براهمة، مرجع سابق، ص 44 .

القول أنها هيا التي شجعت عليه بحجة أن كل شخص حر يفعل مايريد لا أخلاق ولا قانون يقيده مما تصبح السياسة في ظاهرها تحريرها أما باطنها يحمل عكس ذلك، بحجة الحرية يسير العقل الإنساني المغفل وراء رغباته الشهوانية وينسى رغباته الحقه "ومتطلبات العمل الناجح في المجتمع الصناعي لا يستبعد استثمار الجسد ومفاتنه ، أنوثة او رجولة بل يتطلبه وتبدو كأنها تعكس حريته "[1] السيطرة هنا تعمل على تغذية غرائز الانسان فتجعله كالحيوان يلهث وراء رغباته دون وعي

4-على الصعيد التكنولوجي : يبين الكاتب محمد زكرياء في كتابه الذي يحلل فيه موقف هاربرت ماركيوز أن " قدرة التكنولوجيا الحديثه على الإنتاج الوفير الذي يعود جزء منه إلى العامل في صورة معيشه مرتفع يساعد بدوره على دعم النظام الرأسمالي لأن مظهر ارتفاع مستوى المعيشة هو أن يشتري العمال منتجات المجتمع الرأسمالي ويكون اداة من أدوات تصرفها "[2] بمعنى ان العامل بعد عنائه في المصنع أخيرا سيلقى وقت راحته ألا أن هذا الوقت من راحة سلب منه أيضا دليل على ذالك شرائه للمنتجات التي صنعها بيده وبثمن باهظ على الرغم من أن معظم المنتجات لا يحتاجها أصلا وإنما العقلانيه التكنولوجيا هيا التي فرضت عليه شرائها وليتمتع بحياة أفضل وجب عليه ان يواكب عصره الذي يضج بالإنتاج التقني وبهذا "المجتمع الصناعي الحديث الذي يقتضي تنظيما إداريا بالغ الدقة والإحكام يسيطر على الإنسان بنفس أساليب الإدارة المحكمة التي يسيطر بها على عملية الانتاج وتترتب على هذه السيطرة انواع من الاغتراب العقلي والثقافي في تشكيل دعامة اساسية للسيطرة الاقتصادية "[3] فيرضخ العقل للاستسلام والتعايش مع الوضع الذي فرض عليه بإضعافه لموقفه السلبي فيصبح العقل الة مثله مثل الروبوت يتحكم به النظام كما يشاء.

[1] - المرجع السابق، ص 46.

[2] - فؤاد زكرياء، مرجع سابق، ص 35

[3] - المرجع نفسه، ص 29 .

المطلب الثاني: التقنية كوسيلة للإنعتاق والتحرر

تمهيد

عمل هاربرت ماركيوز على تحليل الوضع الذي آلت إليه المجتمعات الغربية يتحكم النظام السائد على طابعها السلبي وإحباط مبدأ النفي والعمل على تقييد المجتمع وإرضاخه لمبدأ الاستسلام والطاعة توجيها لسياسته البعدية الواحدة ، وقد بين ماركيوز كيف سعى النظام على تطبيق ذلك، ومن هنا أراد إعادة إحياء البعد السلبي (النقدي) الذي مهد له سابقا منذ عهد اليونان ونادى به كل من كانط و هيقل فيما بعد كما اعتمدت عليه النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت في أهم أفكارها إلا أن ماركيوز كان له منهجه الخاص الذي بواسطته يمكن للوضع الآني أن يتغير ويعيد إحياء طبيعة الإنسان ذات البعدين.

اولا : _الفلسفة السلبية وإحياء الديالكتيك:

أراد ماركيوز تأسيس فلسفة ذات طابع سلبي نابعة من عمق معانات الفلسفة الألمانية التي عمل عليها رفقة أدرنو و هودكهايمر على الاستعانة بالنقد الكانطي وكذا العودة إلى ديالكتيك هيقل وماركس لمعالجة جراح الفكر الألماني تلك الجراح التي عملت الوضعية على تفاقمها ، كما ساعد النظام الشيوعي والرأس مالي على تفاقم مآسي الفلسفة الألمانية فلم تجد هذه الأخيرة الطبيب الشافي لمآسيها، ونظرا لتصادم كثير من السياسات تأمنت مدرسة فرانكفورت وكان لأدرنو وهوركهايمر وخاصة ماركيوز دورا بارزا لمعالجة تلك الأوضاع التي آلت إليها المجتمعات الغربية المعاصرة، فقد وضع هوركهايمر الفلسفة الوضعية داخل قفص الاتهام ورأى بأنها " نتصور العالم بشكل مباشر في التجربة فقط، مما حذا بها ألا تميز بين الجوهر والمظهر" [1] بمعنى أنها جعلت الإنسان كتلة واحدة لا تأبه لأوضاعه الداخلية وما يشعر به فيقدم، هوركهايمر " نظرية جدلية تظهر فيها الحقائق الفردية القائمة بذاتها" [2] من

---

[1] – توم بوتومور، مدرسة فرانكفورت، سعد هجرس، دار أويا للنشر والتوزيع، ليبيا، ط1، 1998، ص44

[2] – المرجع نفسه، ص 44

هنا عمل هوركهايمر على وضع الخطوط الأولى للنظرية التي تسعى لإحياء الجدل داخل الدولة. لأنه لا يمكن أن تتلاشى الوضعية إلا بممارسة المنهج السلبي فهو سبيل للحرية ، ويمكن تلخيص اساس المدرسة في مقولة هوركهايمر " ان النظرية النقدية مدينة في اساسها في علاقتها الى الفلسفة الهيقلية والماركسية والكانطية والوضعية . في ابعادها الفكرية والفلسفية والاجتماعية ونقدها للعقل – الانوار – التقنية – السلطة – الدولة – الرأسمالية"[1] وبهذا يمكن القول ان مدرسة فرانكفورت نهلت افكارها من العديد من الفلسفات وطبقتها على حالة المجتمع وأوضاعه السياسية والاقتصادية وهذا ما عمل به ماركيوز

1-العودة الى كانط : عندما نذكر مصطلح النظرية النقدية فان من هذه التسمية تتبادر في اذهاننا بأنها فلسفة قائمة على النقد ومنبع النقد نجده في الفلسفة الكانطية "بالنسبة لكانط لا وجود لعلم مطلق بل هو جنس من المعرفة يحتاج الى العمل باعتباره مجال الاخلاق ، فحتى الممارسة السياسية عليها ان تتقيد بالأخلاق باعتبارها طريقا نحو تحقيق المساواة والكرامة بين الافراد "[2] من هنا أراد كانط أن يقيم فلسفة نقدية قائمة على مبادئ أخلاقية فهو يرى بأن السياسة وجب لها أن تقوم على نظام عادل يحقق المساواة للجميع في المقابل بأن كل العلوم نسبية ولا يمكن إرجاعها لمبدأ الثبات هذه الفكرة التي استعان بها رواد المدرسة ضد الوضعية التي تسعى لثبات قوانينها على العامة و"من المؤكد إذن أن النظرية النقدية مدينة بالكثير إلى فلسفة كانط وذلك عبر جميع مراحل تطورها فالحظور المستمر لكانط في مؤلفات فلاسفة فرانكفورت تؤكد عظمة كانط "[3]

2-العودة إلى هيقل: وجد ماركيوز وزملائه في فلسفة هيقل أجنحة للتحرر التي فقدتها المجتمعات الصناعية في عصره وبناءا على هذا الإستعاب للهيقلية يمكن القضاء على

[1] – نور الدين بوزار، الفلسفة والعلوم الاجتماعية عند مدرسة فرانكفورت(ماكس هوركهايمر . ستيو ادرنو . نموذجا)،قسم الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية و الانسانية ، جامعة وهران 2، 2017/2016، ص 39

[2] – خديجة هلو، البعد الجمالي في فكر ماركيوز، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص الفلسفة الالمانية المعاصرة، قسم الفلسفة ، جامعة وهران 2، 2015/2014، ص 14 .

[3] – نور الدين بوزار، مرجع سابق، ص 41 .

العقلانية الأدائية " لقد استطاع هيقل كما يفسره ماركيوز أن ينقل المذهب المثالي في مرحلة الاستسلام للأمر الواقع والدفاع عنه إلى مرحلة النقد المكافح الذي يعتمد أساسا على في مجال الفكر على مفهوم السلب"[1] السلب إذن دائما وأبدا شعارا للتغير ذلك لأن الكثير يعرفون عن هيقل أنه جعل للفكر مسارا ديالكتيكيا فلا يمكن للفكر أن يتلخص من مرحلة الاستسلام إلا عن طريق السلب نفسه ، "هكذا تكون المثالية الهقلية كما فسرها ماركيوز مرتبطة على نحو أساسي بنزعة الرفض والسلب. رفض للواقع القائم في لا معقوليته وسعي دائم إلى إقرار حكم العقل في عالم التجربة"[2] لأن التجربة التي وضعت عقل الإنسان تحت قيودها وأفرغته من معقوليته. " فكان هيقل أول من أقام فلسفة كاملة مترامية الأطراف على أساس مبدأ دينامية العقل وقدرته على تجديد ذاته وتجديد العالم معه "[3] يعمل العقل على خلع ثوب الإغتراب من واقع الإنسان.

3-العودة إلى ماركس: جعلت النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من ماركس الأب الروحي لها وكما سبق التعرف على أن الماركسية تدعو لتطبيق منهج جدلي مادي تتصارع فيه الطبقات وينتهي الصراع بفوز الطبقة الكادحة، إتفق ماركوز مع ماركس أن الطبقة العاملة تواجه أزمة حادة في البلدان الغربية المتقدمة صناعيا (تقنيا) ومنه يجب الاستحواذ على السلطة السياسية من طرف البروليتاريا، كوسيلة لإعادة تنطيم حياة المجتمع يدعو الى ماركيوز ايضا الى ضرورة تحرر هذه الطبقة من الاغتراب الذي وقعت فيه " وماقام به ماركيوز ساهم به عدد من زملائه الذين سبقت الاشارة لهم وهو محاولتهم احياء الماركسية ' الاصلية ' في رأيهم والحفاظ على طاقتها النقدية الجدلية المرتكزة على تفسير ماركس

[1] - فؤا زكريا، مرجع سابق، ص 17 .

[2] - المرجع نفسه، ص 18

[3] - نفسه، ص 20

الفلسفي والإنساني المبكر و الايمان برسالة الفلسفة في التحرير والخلاص من نظم القمع والقهر. " [1]

ثانيا : معالم التغيير عند هاريرت ماركيوز

يسعى ماركيوز الى تاسيس فلسفة جديدة جمع فيها النقد ومنهج النفي وأعطاهم بعدا مغايرا مفاده انه لا يمكن اعتبار منهج السلب على انه حركة تسير في الذهن فقط كما اعتقد هيقل ولا يمكن حصره في حركة المادة كما وضعه ماركس بل وجب تطبيقه على كل ماهو واقعي سواء تعلق ذلك بالأفكار او بالمادة اذا "عملية النقد هذه تشمل كل ماهو قائم بالفعل "[2] اي انها عملية تشمل حياة الانسان الباطنية والظاهرية وفي كافة مجالاتها الحياتية ومن بين القضايا التي عمل ماركس على تغييرها نجد

إعادة تحليل الدور الذي تلعبه التكنولوجيا حيث تفحص ماركيوز التقنية التي كانت سائدة قبل عصره والتقنية التي ارتبطت بعصره وجد انه لاطالما عبر الفلاسفة المعاصرين على انها افة العصر وانها افعى سامة تسعى الى وضع سمها على حية الانسان ، أما ماركيوز يرى بانها لم تعد تشكل خطورة على حياة الانسان فالأفعى الحقيقية هي الأنظمة السياسية التي جعلت من التقنية مادة سامى تهدد حياة الانسان وان الانسان المعاصر الذي يعيش التطور الصناعي لا يدرك نوايا النظام الحقيقية لذا دعى ماركس الى ضرورة ارجاع التقنية لمفهومها القديم وإرجاع الغاية التي اوجدتها ألا وهي مساعدة الانسان وتسهيل حياته ولاسترجاع غايتها القديمة وجب السعي جاهدا لإفراغها من سلبياتها التي تهدد حياة الانسان وتقوده الى الهلاك هذه السلبيات التي فرضتها الانظمة السياسية بغية تقيده والتحكم فيه ، ان هذا الوعي هو اول خطوة يقوم بها الانسان الذي يسعى لبلوغ الحرية عن طريق احياء ثورة عالمية " ان الوعي الجديد الذي يتطلبه فعل التحرر تفرزه تناقضات نظام السيطرة حيث

[1] – عبد الغفار ميكاوي، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، دار الهنداوي، مص، (د.ط)، 2017، ص 58 .

[2] – جمال براهمة، مرجع سابق، ص 153

يهيء مناخها العناصر التي تدفع الى البحث عن حل جذري وتغيير كامل "[1] والسبيل لتفسير هذه الحياة البائسة ذات الطابع الاستبدادي .

كما سعى ماركيوز ايضا لاعادة تغيير عناصر الثورة خلافا لما كانت عليه سابقا في عصر ماركس ، صحيح ان ماركيوز وافق ماركس الراي في فكرة ان على ان الفيلسوف يعمل على تغيير المجتمع لا على تفسيره فقط كما وافقه في فكره الثوري الى انه في الاخير سلك ماركيوز طريقا مغايرا على الطريق الذي سلكه ماركس من قبل لان هذا الاخير يعتقد بان الثورة لا يمكن ان تخرج عن نطاق الطبقة العاملة بينما ماركيوز اعطى لمفهوم الثورة بعدا اوسع من ذلك بكثير فهي ليست حكرا على طبقة واحدة بل تتعدى ذلك لان طبقة العمال باتت عاجزة على مواجهة العقلانية الصناعية كما ان مفعولها قد تلاشى وان الطبقات الجديدة هي التي ستعمل على التغيير الحقيقي حسب ماركيوز لانها طبقات اكثر وعي باستطاعتها القضاء على الوضع الاجتماعي الذي تتخبط فيه الدول الغربية سم ماركيوز هذه الفئات **بحركة اليسار الجديد** ، ان الوعي الحقيقي ياتي من دالخل الطبقات المثقفة والتي تتشكل من الطلاب والأدباء وكذا الطلاب العاطلين عن العمل حيث يؤكد ماركيوز " للتمكن من تحرير الانسان من تنميط مجتمع السيطرة لذلك فقد اولى الطبقة الطلابية اسما اكبر كراعي للوعي التحرري " [2] ، عند اشتغال ماركس التدريس في الو م أ تقرب كثيرا من طلابه ووجد ان التغيير لن تحققه الفئات المهمشة من العمال بل ياتي من الطبقة المثقفة فهي بإمكانها احداث الفارق لأنها تتمتع بالوعي الكامل الذي سيقودها لرسم طريقا جديد " ان الثورة الطلابية تضرب المجتمع السائد في مكان حساس هذا ما جعل النظام السائد يواجه الثورات الطلابية في الدول الغربية بعنف لأنها تهدد كيانه بإدخال الوعي لكل شرائح المجتمع

[1] – جمال براهمة، مرجع سابق، ص 119

[2] – المرجع نفسه، ص 122

والعمل على تحريضه ضد النظام بإنارة عقله وإعادة توجيهه لطريق السعادة الحقيقية كما "[1] وقع في احداث " مايو ويونيو 1968 التي شهدت ظهور عارضة راديكالية جديدة يمثلها هؤلاء الطلبة الشبان الذين عبروا عن احتجاجاتهم وتمردهم "[2] هذه المعرضة شهدتها فرنسا كأول ثورة طلابية ترفض سياسة النظام السائد ، أثرت هذه الثورة في مشروع ماركيوز الثوري حيث وجد فيها دافعا يحفزه على اكمال مشروعه لأن الحركة الطلابية التي يدعو لها ماركيوز حركة تشمل كافة دول العالم فهي شاملة الا انه يمكن القول مع ماركيزو ان هذه الحركة ليست كافية لوحدها وجب دعمها بفئات اخرى تسعى للتغير وتعمل على شد ساعدها من بين هذه الفئات نجد طبقة الكادحين في العالم الثالث وكذا طبقة المضطهدين كالسود في كافة أرجاء العالم الذين لا يتمتعون بحقوقهم مثلهم مثل غيرهم كما أن هناك طبقة أخرى لا تقل اهتمامها عن فئتين السابقتين في تدعيم الحركة الطلابية وهي الحركة النسوية ، هذه الاقلية حسب رأي ماركيوز تعي جيدا حجم المعاناة التي تعيشها وكيف عملت المؤسسات على التقليل من اهميتها "فتحرير النساء هنا يعني عدم معاملتهم ككائنات ناقصة وقليلة شأن ، كما ان تحرير النساء من قيد الماضي يعني تحرير الانسان بصفة عامة ولا يمكن ان نتحدث عن تغيير المجتمع إلا اذا زال الصراع بين النساء والرجال "[3] لان للمرأة مكانة عظيمة في المجتمع فهي ليست بضاعة تباع او ترد كما ان لها نفس الحقوق مع الرجل ، مع دمج كل هذه الفئات التي لم تكن في الحسبان من قبل ولم تخطر على بال النظام يمكن من خلال شعارها الرافض للديمقراطية المزيفة ان تقرر مصيرها لذا وجب ان تعمم هذه المطالب على كافة المهمشين في كل بقاع الارض ، لان التغيير لن ينجح اذا اشتمل على

[1] – مصطفى اقرو، الحرية عند هاربرت ماركيوز، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة السياسية و الاجتماعية، قسم الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية و الانسانية، جامعة قسنطينة ، 1999/2000، ص109

[2] – جمال براهمة، مرجع سابق، ص 122

[3] – المرجع نفسه، ص 120.

فئة واحدة فقط كما انه لن ينجح اذا عمم على بلد واحد فقط لذا يمكن القول " ان حركة الطلبة تعتبر بذرة الثورة ولكن اذا بقينا في مرحلة بذرة الثورة فإننا لا نتحصل على الثورة "[1]

[1]- المرجع السابق، ص 112.

المبحث الثاني : التقنية والفن : البعد الجمالي للتقنية والكمون التحريري للفن

المطلب الاول : البعد الانساني للتقنية

تمهيد

بعدما عمل ماركيوز على تحليل المجتمع الصناعي الغربي التقني ووصوله لفكرة ان هذا المجتمع لن يتغير إلا عن طريق احياء الجدل السلبي ، كما بين ان هناك فئات جديدة يمكن لها ان تغير وضعها الراهن من خلال الوعي الذي يمتازون به مما اراد ايضا الجعل من التقنية وسيلة لخدمة الانسان يوجهها وفق مصالحه الحقة ولما يحتاجه لا وفق ما تفرضه هي عليه من سيطرة وبهذا تكون ذات عامل ايجابي يعمل على خدمة الانسان عندئذ يتمكن الانسان من الخروج من قوقعتها وفي المقابل يسترجع انسانيته التي سلبت منه منذ الازل ولم يجد السبيل للتخلص منها وخصصت هذه الدراسة لمعرفة التحليل الذي قام به ماركيوز لإعادة توجيه التكنولوجيا (التقنية) لخدمة الانسان مع العلم ان هذه الفكرة اشار لها استاذه هايدغر من قبل .

إن مشرع الفلسفة المعاصرة والأسباب والدوافع التي عملت على ظهورها راجع لتطور العلوم وتراجع مكانة الانسان (انسانية الانسان) فانصب اهتمام هذه الفلسفة على معالجة عمق معانات الانسان وأحواله النفسية ، هذا الاخير الذي فقد مكانته كفرد مستقل عن كل مادة " فهو كائن صاحب ارادة حرة على الرغم من الحدود الطبيعية والتاريخية التي تحده " [1] ، وبما انه صاحب ارادة فإن له الحرية في اختيار اسلوب الحياة التي يريد دون فرض سيطرة عليه ، ومن هذا المنطلق عملت العديد من المدارس الفلسفية المعاصرة على وضع حل لمشروع الانسان وإعادة النظر للحالة التي وصل لها والتي كان سببها الرئيسي العقلانية

[1] – عبد الوهاب المسيري ، الفلسفة المادية و تفكيك الانسان ، دار الفكر دمشق ، سوريا ، ط1 ، 2002 ، ص 12

الأداتية المفرطة وبما انها اصبحت هذه العقلانية لغة العصر باتت كل التشريعات السياسية تعمل بها .

أولا : توظيف التقنية لخدمة الوجود الانساني (هايدغر) :

كما سبق وتمت الاشارة إلى مارتن هايدغر من الفصل الأول من هذا البحث على انه من اهم فلاسفة الفلسفة المعاصرة والذي ينتمي الى الفلسفة الوجودية والذي له تأثير كبير على فلاسفة عصره والفلاسفة اللاحقون من بينهم ماركيوز ، فكانت جل أفكاره تدعو الى الاهتمام بالإنسان ومعالجة جراحه الروحية ، ومن بين الافات التي سببت المعانات للإنسان وجعلته مجرد من إنسانيته هي التقنية وتطوراتها التكنولوجية بمعدات تعمل على الدمار والحرب كماديات تسعى لوضع سيطرتها على الانسان مما أدى به الأمر الى نقد التقنية والمجتمع التقني ككل وبوجه عام نقد ثقافته الاداتية المزيفة ومن هنا عمل هايدغر على ضرورة تغير مسار التقنية ومحاولة ارجعها كيد عون للإنسان ولتحقيق ذالك كان عليه في الاول محاولة معرفة ماهيتها لكي يعي اهدافها وإذا كانت غاية او وسيلة ومحاولة اخراج جانها الايجابي وفي هذا الصدد يقول " ان الاستعمال الجيد لهذه التقنية على انها وسيلة هو الفطنة الجوهرية في هذه المحاولة لهذا نريد كما يقال ان نتحكم في التقنية ونوجهها لصالح غايات " روحية " نريد ان تصبح سادة عليها "[1] خدمة للروح الانسانية بمعنى تعمل على فك معاناته لا على تفاقمها ، ان التقنية لن تتغير ان لم يعمل الانسان بنفسه على تغيير وجهتها حيث بين هايدغر ان مهمة الانسان ان يعرف كيفية استغلالها لصالحه ولا ينظر لها من جانبها السلبي التدميري فحسب او من جانبها الذي فرضته القوات المسيطرة على حياة الانسان وبهذا يمكن ان يدرك ماهيتها الحقة ويصبح قادر على تجنب معاناته وحل مشاكله يقول هايدغر " ان التهديد الذي يثقل كاهل الانسان لا يأتي في الدرجة الاولى من الالات

[1] – مارتن هيدغر، التقنية ، الحقيقة، الوجود، تر: محمد سبيلا و عبد الهادي مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان،(د.ط)، (دس) ، ص 45

والأجهزة التقنية التي يمكن بالفعل ان تكون قاتلة ان التهديد الحقيقي كان قد أصاب من قبل الإنسان في كينونته "[1] وان كان هو الذي جعل من نفسه عبدا لها وخادما مطيعا لانه يعاني منها ويقف مكتوف الايدي ينتظر فنائها دون ان يعمل هو على فنائها مما يكن القول ان التقنية بريئة منه وهو الذي فقد الوعي بخطورتها بل يمكن القول انه يعي الخطورة لكنه عاجز عن الحد من سلبياتها وفي المقابل العمل على استخراج جانبها الايجابي .

ثانيا : توظيف التقنية وفقا لخدمة الانسان والعمل على تحريره (ماركيوز)

بعدما وجه ماركيوز أنظاره لعناصر مهمة تسعى للتغيير فانه يعيد توجيه نظره مرة أخر لعنصر اكثر أهمية وقبل التعرف على هذا العنصر وجب تحليل بعض النقاط المهمة ، كما سبق الذكر ان ماركيوز نبه على الوعي بخطرة التقنية وان الانسان عندما يعي حاجاته الضرورية التي يحتاجها حقا من الحاجيات المزيفة سوف يتمكن من الخلاص من سيطرتها وهذا ما تم الحديث عنه سابقا ، يرى ماركيوز ان التقنية لم تعد ذالك الوحش المخيف خلاف ما كانت عليه في زمن ماركس فقد أصبحت الآن أداة إجابية في يد الانسان يتحكم فيها كما يشاء وحسب متطلباته ، كيف يتم ذالك ؟ يجيب ماركيوز ان بلوغ السعادة " يكمن عن طريق تغيير الظروف المادية للوجود الانساني ان المجتمع الجديد الذي ينشأ عنه اذا يكون بمثابة الخلق الحر لأفراد الأحرار اذ يكون بمثابة تحقق العقل باعتباره تنظيما عقلانيا للإنسانية " [2] يدعو ماركيوز الى عقلنه التكنولوجيا عقلانية تحمل طابع الوعي وتحمل شروط تخدم الانسان كانسان لا باعتباره مادة وبناءا على ذالك لابد من الاجتهاد في تغيير صورة الانتاج وإعادة " العمل لتوجيه عملية الانتاج وتوظيفها لخلق واقع حضاري جديد تتحقق فيه إنسانية الإنسان ويقوم المجتمع الحر "[3] عن طريق مراقبة العملية الإ'نتاجية وتحليلها جيدا يمكن

---

[1] – المرجع السابق ص 75

[2] – كفاح غسان قيصر، مشكلة الاغتراب عند هاربرت ماركيوز، اطروحة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الفلسفة ، قسم الفلسفة، كلية الاداب والعلوم الانسانية، جامعة دمشق، 2015/2014، ص 136.

[3] – المرجع نفسه، ص 154.

اخراج منها عوامل تعمل على توجيه الانسان اللاواعي الى الوعي بعدم مصداقيتها وفي المقابل سيسعى للتخلي عنها ، ان ماركيوز لا يعمل على احباط العلم بل يعمل على الابتعاد عن استخداماته السلبية ، و"الاهتمام الذي يليه ماركيوز الى التكنولوجيا يضاهيه اهتمامه بدور العلم لإرساء معالم حضارة اكثر انسانية يكون فيها التنظير العلمي ركيزة أساسية"[1] وهذا ما اوجب الاهتمام بالمشاريع العلمية بصورة جديدة مصاحبة للإنسان كفرد يمكن له ان يعيش دون قلق او اغتراب ويحيى في فضاء ملائم يحفظ فيه وجوده يقول ماركيوز "ان كل فرح وكل سعادة مرهونة بقدرة الانسان على تجاوز الطبيعة والسيطرة على الطبيعة هي جزء من صيرورة التحرر وتهدئة الوجود "[2] لأنه مهما تعدت التقنيات ومهما غزت العالم وسيطرت على حياة الانسان ومهما كانت وسيلة لخدمة النظام ومهما عملت على تجريد الانسان من انسانيته إلا انه لا يمكن نفي فكرة ان الانسان هو الذي اوجدها وانه هو السيد عليها وسيتخلص من سلبياتها عاجلا او اجلا فهو ليس كتلة مادية بل روح ذات وازع اخلاقي وعند تعمقه في أعماق ذاته وتفطنه لما يسري حوله سيتجاوز عقلانيتها الأداتية ويتحرر ولكن كما سبق الذكر ان هذه المهمة ليست بالأمر السهل .

تمت الاشارة في بداية هذا العنصر ان هناك فئة جديدة تعمل على التحرر وتتجسد هذه الفئة في عنصر مادي وهو في غاية الاهمية يمكن له ان يساعد الانسان عل حفظ بقائه وتحقيق سعادته الحقيقية ، يسمي ماركيوز هذا العنصر **بالأطممه (Automation)** او بعبارة اخرى التكنولوجية المتطورة جدا ، بغض النظر عن التكنولوجيا التي تكلم عنها سابقا والتي من الممكن ان يتم افراغها من طابعها السلبي واستخدامها وفق ما يحتاجه الانسان فان هناك تكنولوجيا اخرى متطورة جدا وجد فيها ماركيوز عاملا في خدمة الانسان مما لا شك فيه " ان التكنولوجيا الحديثة والتطور العلمي يسهمان في تحرير الانسان من

[1] – جمال براهمة، مرجع سابق، ص 156.

[2] – هاربرت ماركيوز، الانسان ذو البعد الواحد، مصدر سابق، ص 244.

العمل الشاق التقليدي ومن الكد وكذالك في أمور أخرى في الحياة اليومية "[1] مما تعمل هذه التكنولوجيا المتقدمة على تحرير الانسان فتصبح كل الامور تسير بطريقة الية مثلا : يتقلص وقت العمل من خمس الى ست ساعات عما كان عليه سابقا في عهد ماركس حيث كان العامل يقضي وقته كله في العمل وكان يقوم بوظائف يبذل فيها الجهد العضلي اصبحت في عهد ماركيوز اعمال الية تساعد العامل على الاعمال الشاقة وتريحه من الارهاق ويمكن القول ان التكنولوجيا المتطورة جدا قد تسبب للافراد الفقر والبطالة وفي تحليل ماركيوز لهذه التكنولوجيا بين ان الثورة لن تقوم إلا اذا تمكن الافراد من وضع اهدافهم انطلاقا من هذه التكنولوجيا ، لأن وضع المجتمعات في عصر ماركيوز تعيش زيف الرفاهية والسعادة ولا يمكن لها ان تستفيق الى عن طريق احتلال التقنية المتقدمة مكانها وطردها من المصنع هكذا سيتعرض العامل الى صفعة توقظه من عقلانيته المزيفة "عندما تتغير الاوضاع وتتكاثر البطالة عبر العالم بسبب الاطممة automation ومختلف الأزمات المستقبلية كتكاثر السكان في العالم ، ...الخ ، في ذالك الحين سوف تكثر الإضطرابات وتتضاعف المظاهرات والثورات العنيفة حول العالم وبخصوص العالم الرأسمالي المصنع " [2] عندئذ يمكن استرجاع مقولة ماركس بان هذا النظام سوف يقتل نفسه بنفسه فهو وجد في التقنية وسيلة للسيطرة وفي المقابل هذه الوسيلة نفسها ستعلن فنائه وبهذا يكون للتكنولوجيا المتطورة دورا ايجابيا هاما يخدم الانسان إذا " الأطممه تؤدي دورا هاما في توفير الوقت غير المقيد بالعمل فتحرير الوقت ان صح التعبير عامل اساسي في احداث التغيرات في المجتمع لكن هذا لا يتم إلا اذا عمت الأطممه جميع الميادين وعندئذ يستطيع الفرد ان يستفيد من وقت الفراغ لينمي حياته الشخصية والاجتماعية " [3] وليصبح فردا مستقلا وجب استغلال وقت فراغه من أجل التغيير لا استغلاله في الاستهلاك والتبذير لذا دعى ماركيوز الى ضرورة

---

[1] – مصطفى اقرو، مرجع سابق، ص 132.

[2] – المرجع نفسه، ص 132.

[3] – نفسه، ص 134.

تغيير الأفراد بـ" تغيير الذهنيات وتغيير الأولويات بحيث تكون مختلفة تماما مع الأولويات السائدة بمعنى ان علينا تغيير نظرتنا للحياة بإعطائها أهمية كبيرة للترفيه عن النفس بطرق مختلفة ثقافية ...الخ "[1] والترفيه عن النفس لا يكون باقتناء الحاجيات المزيفة وباهظة الثمن لا تساوي مدخول الفرد الشهري بل تتعداه وهذا ما عبر عنه ماركيوز سابقا في كتاب الانسان ذو البعد الواحد ، بل الترفيه الحقيقي ذالك الذي يساعد الإنسان على تحرير إنسانيته كما انه لا يمكن ان نجعل من ماركيوز معاديا للعمل الانساني ووضع مكانه الآلة وإنما يسعى ماركيوز على ان " يحتفظ بالعمل كعمل ولكن بشرط ان يتحول الى تسلية بمعنى بروز نوع من العمل غير قمعي حيث يجد فيه الانسان راحته لان مرحلة الاطممة يكون فيها وقت العمل قصيرا غير مرهق "[2] مما تصبح التقنية المتطورة عند هاربرت ماركيوز هي عاملا إيجابيا لا سلبيا تعمل على راحة الفرد لا على شقائه وتعمل على ارجاع الانسان الى إنسانيته التي فقدها منذ عقود من الزمن .

[1] – المرجع السابق ، ص 134.

[2] – المرجع نفسه، ص 155 .

المطلب الثاني : الكمون التحرري للتقنية الجمالية

تمهيد

يسعى ماركيوز دوما العمل على تشخيص حضارة عصره محولا ازالة الامراض التي اصابتها و لتحقيق مراده وجب ان تقوم الحضارة على حساسية جديدة تتوفر فيها قوة العقل والخيال هذا الاخير الذي يحتل فيه الفن مكانة مهمة في فلسفة ماركيوز الثورية حيث يسمح الفن للمخيلة على ان تعمل لفك قيود التكنولوجية القمعية وبهذا فان المشروع الماركوزيوي التحرري بالنسبة له لن يتحقق بدمج فئات ثورية جديدة فقط بل ان اكتماله يستدعي ضرورة دمج الفنون والمخيلة لتنمية العقل والإرادة لدى الافراد و اطلاق العنان للغرائز الطبيعية ، ومن هذا المنطلق يبين ماركيوز كيف تعمل الحساسية الجديدة على تحرير الانسان ويبين كيف موقفه هذا انطلاقا من مجموعة من المبادئ ولقد عبر عن هذه الافكار في العديد من مؤلفاته اهمها البعد الجمالي ، الحضارة و الإيروس .

أولا: من حضارة القمع الى حضارة الإيروس

يرى ماركيوز ان الانسان الجديد الثوري وجب ان يتمتع شعوره بالسعادة والإحساس بالجمال لذا لابد من تأسيس حضارة جديدة ذات مبادئ و اسس مخافة لمبادئ ماركس لان حضارة ماركس تجعل من الانسان ذالك العامل المنتج الذي يسعى دوما لفرض نفسه و اثبات وجوده و ان له مكانة في المجتمع لا يمكن اغفالها اي ان ماركس يرى بان حرية الفرد هي حرية بيولوجية ان اعترف به كفرد في المجتمع فقد حقق مبتغاه و هذه النظرة الماركسية رفضها ماركيوز لان ماركس أهمل الإنسان الذي يتمتع بغرائز و دوافع نفسية يرى ماركيوز على الإنسان ان يتحرر من كبته لبلوغ السعادة الحقيقية و نجده هنا متاثرا بأفكار الفيلسوف النفساني سيغموند فرويد خاصة في موقفه حول **حضارة الإيروس (الحب والرغبة)** ، "ان التساؤل عن الحرية يقودنا مباشرة الى حضارة الايروس التي تحدث عنها ماركيوز في

كتاب الحضارة و الايروس "[1] بين ماركيوز في كتابه هذا فكرة الإيروس التي نادى بها فرويد التي ربطها بالغريزة الجنسية و الرغبة (الليبيدو) حيث يرى فرويد ان فكرة الايروس هي " الطاقة التي تكمن في اصل كل حضارة ذلك لان نمو الفرد أي انتقاله من الأنانية الى الغيرية وكذلك نمو الانسانية يفترض مقدما عامل الحب سوى في صورته الجنسية المباشرة او في صورته المتسامية، المحورة فنمو الفرد يتحقق حين يعمل الطفل حسابا للواقع وينظم سلوكه على اساسه بعد ان كان يبحث عن اشباعه المباشر "[2] يرى فرويد ان سبب تراجع مكانة الفرد في المجتمع الصناعي راجع الى عدم تحكمه في غرائزه ودوافعه الجنسية حيث يقيس تقدم الامم حسبما يكبته افرادها من دوافع فكلما عمل ابناء المجتمع على التحكم في دوافعهم الغريزية كلما تطورت هذه الامم وتقدمت نحو الافضل فعلى الانسان دوما ان يكون انسان واعي يتحكم في أحواله النفسية وما يصدر عنها " فالإيروس اذا ترك وحده يمنع الانسان من العمل ويحرم المجتمع من وسائل العيش ومن هنا كان لابد من طرحه جانبا والتركيز على الإنتاج والعمل أي ان الإيروس عاجز عن اقامة الحضارة ولذلك كان من الواجب انكاره اذا اراد المجتمع ان يقيم لنفسه حضارة مرتكزة على الجهد والعمل "[3] ان الدعوة التي نادى بها فرويد القائمة على أساس كبت غرائز الانسان لقيام حضارة يوافقه فيها ماركيوز الرأي وبهذا يرى ماركيوز ان الانسان لكي يتحرر لابد عليه ان يتخلى عن بعض الرغبات التي قد تقيده لكن ماركيوز يخالفه في موقفه المطلق للكبت فماركيوز رفض مطلقية الكبت وقمع الرغبات وفكرة انه من المستحيل قيام حضارة بلا كبت لان الكبت المطلق الذي يتحدث عنه فرويد لا يتماشى مع الحساسية الجديدة التي يرى فيها دافعا للتحرر ، كما نقده في فكرة ان الإيروس عاجز عن تأسيس حضارة لذا ان تحليل ماركيوز لمجتمع عصره

[1] - Guy, Desilets B. " Théorie et Praxis Dialectiques dans la Pensée de Herbert Marcuse". Université du Québec. Mai, 1973 , p42.

[2] – فؤاد زكرياء، مرجع سابق، ص 43 .

[3] – المرجع نفسه، ص 44.

استنتج بأنه يعيش حالة من التناقض فمجتمعه لا يعيش الكبت نتيجة لوفرة جميع المتطلبات والإمكانات التي تمكنه من اشباع حاجاته ولكن ان تمعنا جيدا نجد ان المجتمع أصبح يعيش القمع والكبت بإرادته الحرة دون ان تفرضه عليه اي ضرورة طبيعية وبهذا يمكن القول " ان أصل القمع الحالي انساني بحت وبعبارة اخرى فان العوامل الاجتماعية والسياسية لا العوامل الطبيعية هي التي تؤدي الى القمع السائد الان وهي تدفع المجتمع الى تطبيق اساليب معينة في توزيع ثروته تحتم سيطرة البعض على البعض الاخر "[1] ولهذا اصبح الكبت والقمع هنا أكثر حساسية من القمع الطبيعي لأنه ارتبط بما هو سياسي وبما توفره وسائل الإنتاج وبهذا وجب ان تقوم حضارة الإيروس محل حضارة الانتاج المزيفة التي تحبب في نفس الانسان حب الاستهلاك ومن هنا عمل ماركيوز على الجمع بين الحضارة و الإيروس لقيام نظام خال من السيطرة و القمع المزيف ، ولتحقيق نظام عادل لابد من ان يوضع كل من العقل و الايروس في كفة واحدة " من الضروري استعادة التوازن بين **الإيروس واللوغوس** لحساب الاول لكن دون انكار تام للثاني وعلى هذا النوع وحده يصبح الانسان كلي الجوانب بعد ان كان من قبل احادي البعد "[2] لان هذه الاحاطة بجوانب الانسان ستعمل على توازنه حيث ان الانسان لايعمل على اشباع دوافعه الغريزية فقط ولا يسير وفق ما تمليه عليه المادة يجب ان تكون حياته متوازنة لان " الجنس ليس هو العنصر الوحيد في حضارة الإيروس بل ان هناك مجموعة كاملة من القيم ومن الحاجات الجديدة تظهر في المجتمع الجديد "[3] هذا المجتمع الذي يرى فيه ماركيوز منابع الحب الحقيقية و السعادة الحقيقية .

ثانيا : البعد الفني و الجمالي كحساسية جديدة للتحرر

لقد اهتم الفلاسفة و المفكرين منذ القدم **بالفن Art** ومن ابرز الفلاسفة القدامى ومن عهد اليونان الذين عبرو عن الفن كوسيلة لتهذيب نفوس الافراد نجد افلاطون يقول في

[1] – المرجع السابق، ص 46

[2] – المرجع نفسه، ص 47

[3] – نفسه، ص 49

جمهوريته " ان للفن دور في تكوين المواطن الصالح و تحقيق الدولى المثلى "[1] ومن هنا أراد ماركيوز هو الاخر تأسيس مجتمع جديد يكون فيه الفن وسيلة تعمل على تهذيب نفوس الافراد الذين يعانون القمع و بهذا ان مشروع ماركيوز التحرري لن يكتمل إلا عن طريق فتح مجال للمخيلة على ان تطلق عنانها و هذه الفكرة عبر عنها رفقة زملائه في مدرسة فرانكفورت حيث يرون ان سلطة الخيال اخضعت لضرب من القمع حين استولت عليها مقتضيات العقل الآداتي التي عملت على تشويهها مما شوه الفن والخيال فأصبحا يعبران عن ثقافة آداتية فكان الجمال و الفن احاسيس حكرا على الطبقات البرجوازية مغلفا بشعارات تعبر عن ثقافتهم و طريقة عيشهم و هذا نوع من الاغتراب حتى الاحساس بالجمال اصبح يعبر عن ثقافة بعد واحد يرى ماركيوز لا وجود لثقافة الفقراء في هذه المجتمعات " يتضح من هذا القول ان الفن قد عرف في المجتمعات الغربية تدهورا ومن بين الوسائل والآليات التي يتم توظيفها للتحكم في الفن و ادماجه في الوضع القائم و توجيهه لخدمة الايديولوجية السائدة هو النشر الجماهيري للأعمال الفنية و الادبية و الموسيقية عن طريق تحويلها الى سلع تباع و تشترى في المحلات"[2] ففقدت جودتها وفقدت تعبيرها المتسامي ومن هنا دعى ماركيوز الى ضرورة تغيير العقليات وتوعية الفرد هذه التوعية التي ستعمل على تحرير الفن كتعبير متسامي خال من اي تشويه يقول ماركيوز " إن انتفاضة الفئات المنورة من الشباب تطالب قبل كل شيء في عملها السياسي بالاعتراف بقيمة الخيال وحقيقته " [3] حيث عملت الفئات التي تطالب بالحرية و التغيير على فتح المجال لمخيلة الانسان على ان تبدع وتعبر عن طاقتها الداخلية اي طاقتها الحقيقية الطبيعية الخالية من اي استلاب ، فالتغيير الاجتماعي الجديد هنا يحتل فيه الفن والمخيلة مكانة مهمة جدا تطلق في نفوس الافراد حيوية وطاقة جديدة هذه الطاقة ستعمل على تهذيب غرائز الانسان و شهواه كما ستعمل

---

[1] – كمال بومنير، مرجع سابق، ص 63

[2] – المرجع نفسه، ص 72

[3] – هاربرت ماركيوز، نحو ثورة جديدة ، تر: عبد اللطيف شرارة ، دار العودة ، بيروت، لبنان، (د.ط)، 197، ص 57.

بعلى الرقي بالإنسان فهي ستغرس الوعي الحقيقي لما يحتاجه وما يريده الفرد لا ما تريده ثقافة العصر ذات الطابع الاضطهادي ومن هنا الأبعاد الجمالية و الفنية تريح الانسان من ظلمات الاغتراب التي كان يعيشها ، " يجلب لنا ماركيوز أفضل اقتراح لمحاولة إعادة بناء فلسفة التحرر نابعة من البعد الجمالي يخلق "[1] وبالأحرى يمكن القول أن الخيال والفن هو الذي سيفتح المجال للتخلص من التفكير اللاعقلاني للمجتمعات المتطورة التي حول عالم الانسان الى عالم الاشياء يقول ماركيوز حول الاهمية التي تلعبها الابعاد الجمالية كوسائط تفك شيفرة الواقع الذي تم تحريفه " يمكن أن يفيدنا البعد الجمالي على نحو ما في تخمين ما يكون عليه مجتمع حر ففي عالم تكف الصلات الانسانية عن ان تكون الوسائط فيما بعد علاقات تجارية ولا تكون بعد قائمة على الاستغلال أو التناقض يجب أن تكون الحساسية متحورة من جميع المسرات القمعية في المجتمعات المستعبدة و أن يكون في وسعها التطلع الى أشكال من الواقع ووجوة لم تكن حتى اليوم موضوعا إلا للتصور الجمالي "[2] وهنا ان البعد الجمالي قدرة على تخليص الانسان من أوهام الاغتراب الفني وسيعمل على تكوين انسان جديد فإنسان الغد حسب ماركيوز هو ذلك الفنان المبدع .

[1] -Raulet, Gerard " Herbert Marcuse: Philosophie de L'émancipation ". Press Universitaire de France. 1992 , p22 .

[2] – هاربرت ماركيوز، نحو ثورة جديدة، مصدر سابق، ص 53

خاتمة

منذ أن احتلت التقنية عالم الانسان وهو يتخبط في أزمات (نفسية روحية، اجتماعية، اقتصادية .... الخ)، وكانت مهمة الفلسفة دوما السعي لحل أزمات هذا الإنسان، وقد عمل الفيلسوف والمفكر الألماني **هاربرت ماركيوز** على تشخيص أوضاع المجتمعات المعاصرة محاولا بذلك الوصول لحل، على وعسى أن يعمل على تنظيم فوضوية الإنسان التي بات هذا الاخير عاجزا عن ترتيبها، فتوصلت في دراستي هذه من خلال تحليلي لأفكار هاربرت ماركيوز الى مجموعة من النتائج يمكن ذكر أهمها:

- إن التحولات التي حدثت في عصر النهضة الاوربية والتي نتجت عنها الثورات العلمية والاقتصادية كانت سبب لإدخال الإنسان عالم التقنية.
- يرى ماركيوز أن التقنية تمكنت من وضع سيطرتها على الطبيعة فأصبح بإمكان الإنسان أن يتحكم فيها ويفك أسرارها لكن في المقابل حولت عقله الى عقل أداتي.
- وجدت الانظمة السياسية الكبرى في التقنية دافعا يمكنها من فرض سيطرتها على الإنسان والتحكم فيه.
- يرى هاربرت ماركيوز أن المجتمعات المتطورة تقنيا هي مجتمعات ذات بعد واحد وكأن الحياة منظمة وفق عقلية واحدة هذه العقلية فرضتها الأنظمة المسيطرة بغية التحكم في حياة الانسان.
- ما زاد تغلغل جذور عقلية مجتمع البعد الواحد الفلسفة الوضعية التي ترفض النقد والسلب.
- ان أوضاع المجتمعات المعاصرة لن تتغير إلا إذا عمل الفيلسوف على معالجتها ومهمة الفيلسوف إحياء النقد والديالكتيك هذا الاخير الذي سيمكن المجتمعات من أن تعارض سلطة النظام الاضطهادية.

– عمل ماركيوز على تأسيس فلسفة ثورية عالمية متعددة الفئات ذات أهداف تحررية يرى أنه بإمكانها أن تعمل على تحرير الإنسان من الوعي الزائف.

– نبه ماركيوز بان التقنية ليست هي من جعلت العقل أداتي، وإنما الاوضاع السياسية هي من جعلت منها وسيلة سلبية لذا عمل ماركيوز على إفراغها من سلبياتها وإرجاعها كوسيلة للتحرر تخلص الانسان من العمل الشاق.

– رأى ماركيوز في البعد الجمالي والفني حساسية تعمل على تهذيب دوافع الانسان النفسية، ورأى في الفن طاقة تمكن الانسان من الابداع هذا الابداع الذي سيقتل الاحاسيس الجمالية المزيفة.

من خلال النتائج التي توصلت لها يمكنني الاجابة عن الاشكالية المطروحة سابقا، ومنه يمكن القول إن هاربرت ماركيوز أسس فلسفة جديدة، محاولا من خلالها تجاوز عقبات المجتمع الصناعي بنفسه، وذلك من خلال قذف الوعي الحقيقي داخل عقول المجتمعات، لأن هذا الوعي الحقيقي هو الذي سيعمل على قيام الثورة والتغيير وهو الذي سيجعل من التقنية أداة يسترجع بها إنسانيته المغتربة، من هنا يتمكن الإنسان من الاستمتاع بالحياة السعيدة ويتطلع على أفاق جديدة

وما يسعني إلا أن أقول في الأخير أن هذا الموضوع ذو أبعاد كثيرة وأن البحث الذي قمت به قابل للتعمق فيه أكثر فأكثر، يمكن للطلبة المقبلين على التخرج وحتى في التخصصات الأخرى الاطلاع عليه، لأن القضية التي يعالجها هاربرت ماركيوز بالرغم من أنه حاول معالجة بها أفكار عصره إلا انها لا زالت قضايا قائمة ليومنا هذا، لأن الإنسان كائن لا يشبع يسعى دوما إلى الابتكار والزيادة في الصناعة، بالرغم من أن هدفه أن يكون سيدا على هذه المعمورة ومالكا لها إلا أنه دوما يتغافل عن بعض الخصوصيات التي من المفروض لا جدال فيها، كما أن الانظمة السياسية الى يومنا هذا تسعى دوما لفرض سيطرتها على الشعوب لذا يمكن القول أن الحلم الماركوزوي لم يتحقق لأن الانسان مازال

يعيش الاغتراب، ومازال يعيش سيطرة التقنية ومازالت وسائل الاعلام والدعاية تعمل على تضليل الحقائق .

قائمة المصادر المراجع

أولا: قائمة المصادر

1. هاربرت ماركيو، الإنسان ذو البعد الواحد، تر: جورج طرابيشي، منشورات دار الأدب، بيروت، لبنان، ط3، 1988 .
2. هاربرت ماركيوز، العقل والثورة (هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية)، تر: فؤاد زكرياء، الهيئة المصرية العامة للتألف والنشر، مصر، (د.ط)، 1970 .
3. هاربرت ماركيوز، فلسفة النفي (دراسات في النظرية النقدية)، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، مكتبة دار الحكمة، دار الحكمة، مصر، ط1، 2012 .
4. هاربرت ماركيوز، نحو ثورة جديدة، تر: عبد اللطيف شرارة، دار العودة، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1971 .

ثانيا: قائمة المراجع

1. إبراهيم أحمد، إشكالية الوجود والتقنية عند مارتن هيدغر، الدار العربية للعلوم، لبنان، ط1 ، 2006 .
2. أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، ط1، 2008 .
3. أفاناسيف، اسس الفلسفة الماركسية، تر: عبد الرزاق الرصافي، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط4، 1984.
4. آلن هاوا، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، تر ثائر ديب، دار العين، القاهرة ، ط1، 2010 .
5. إيمون باتل، آدم سميث، تر: علي حارس، مؤسسة هنداوي، مصر، (د.ط، .2018

6. توم بوتومور، مدرسة فرانكفورت، سعد هجرس، دار أويا للنشر والتوزيع، ليبيا، ط1، 1998،
7. جلال الدين السعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار جنوب للنشر ، تونس، (د.ط)، 2004.
8. جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، (دط)، 2004.
9. جون كوتنغهام، العقلانية، تر: محمود محمد الهاشمي، مركز الإنماء الحضاري للنش، حلب، سوريا ، ط1، 1997.
10. جويس أبلبي، الرأسمالية، تر: رحاب صلاح الدين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2013، مصر، ط1 .
11. حيدر غيبة، ماذا بعد إخفاق الرأسمالية والشيوعية؟ (نحو إيديولوجية جديدة للتوازن الاقتصادي والاجتماعي إسلامية وعالمية)، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2 ، 19
12. سهير عبد السلام، مفهوم الاغتراب عند هاربرت ماركيوز، دار المعرفة الجامعية، مصر، (د.ط)، 2003.
13. سيرافينا كومو، التقنية والثقافة في العصور القديمة، تر: مصطفى قاسم، هيئة ابو ظبي للسياحة والثقافة، ابو ظبي، الامارات العربية،ط 1، 2012.
14. عبد المعطى شعراوين اساطير افريقية (اساطير البشر)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ج1، (دط)، 1986.

15. عبد الغفار ميكاوي، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، دار الهنداوي، مصر، (د.ط)، 2017، عبد الله إبراهيم، المركزية الغربية(إشكالية الكون والتمركز والذات)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1997.
16. عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الانسان، دار الفكر دمشق، سوريا ، ط1، 2002 .
17. فريدل فاينرت، كويرنيكوس وداروين وفرويد(ثورات في تاريخ وفلسفة العلم)، تر: أحمد شكل، دار هنداوي للنشر والتوزيع، المملكة المتحدة ، (دط)، 2017،.
18. فؤاد زكرياء، هاربرت ماركيوز، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية ، مصر، ط 1، 2005.
19. فيل سنيتر، مدرسة فرانكفورت نشاتها ومغزاها وجهة نظر ماركسية ، تر: خليل كلفة، المجلس الاعلى للثقافة، ط2، 2004.
20. كارل ماركس، رأس المال، نقد الاقتصاد السياسي، تر: فهد كم نقش، دار التقدم، موسكو، المجلد الأول، الجزء1، (دط) ،1985.
21. كارل ماركس، مخطوطات عام 1844 الاقتصادية والفلسفية، تر: محمد مستجير مصطفى، دار الطباعة الحديثة القاهرة، مصر،1974.
22. كمال بومنير، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من ماكس هوركهايمر إلى أكس هونيث، الدار العربية للعلوم، لبنان، ط1، 2010،.
23. مارتن هيدغر، التقنية، الحقيقة، الوجود، تر: محمد سبيلا و عبد الهادي مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان،(د.ط)، (دس) .
24. مجموعة مؤلفين، الماركسية الغربية وما بعدها(التأسيس والانحطاط والاستعادة)، دارالاختلاف منشورات صفاف، لبنان، ط1، 2014،

25. محمد سبيلا، مدارات الحداثة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط1 2009 .
26. مراد وهبة، قصة الديالكتيك، دار العالم الثالث، القاهرة، مص، ط1، 1997 ،
مراد وهبة، قصة الديالكتيك، دار العالم الثالث، القاهرة، مص، ط1، 1997 ،
27. هنري هودجر، التقنية في العالم القديم ، تر: رندة قاقيش، الدار العربية للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، (دط)، 1988 .
28. يمنى طريف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين(الأصول، الحصاد، الافاق المستقبلية)، سلسلة كتب ثقافية شهرية، الكويت، (دط)، 2000.

مراجع بلغة اجنبية :

1. Raulet, Gerard " Herbert Marcuse: Philosophie de L'émancipation ". Press Universitaire de France. 1992.

ثالثا : قائمة المعاجم والموسوعات

1. احمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة ، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباع، القاهرة ، مصر، ط1، 2008.
2. اندري لالاند، موسوعة لالاند المنهجية، تر: خليل احمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس، المجلد الاول، 2001.
3. جلال الدين السعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار جنوب للنشر، تونس (د.ط)، 2004.
4. جميل صليبة، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت لبنان، ج1، (د.س).
5. جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة (الفلاسفة، المقاطعة، اللاهوتيون، المتصوفون)، دار الطليعة للطباعة والنش، بيروت، لبنان، ط3، 2006.

6. مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة ، مصر، ط 5،2007 .

رابعا : قائمة المذكرات

1. العربي ميلود، الذات والغيرية في فلسفة بول ريكور (رحلة البحث عن الذات من خلال الاخر)، مذكرة لنيل شهادة دكتوراة، تخصص علوم في الفلسفة، قسم الفلسفة، جامعة وهران، 2011.
2. جمال براهمة، الانسان والوعي في فلسفة هاربرت ماركيوز، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة، قسم الفلسفة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2011/2010.
3. خديجة هلو، البعد الجمالي في فكر ماركيوز، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص الفلسفة الالمانية المعاصرة، قسم الفلسفة ، جامعة وهران2، 2015/2014.
4. كفاح غسان قيصر، مشكلة الاغتراب عند هاربرت ماركيوز، اطروحة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الفلسفة، قسم الفلسفة، كلية الاداب والعلوم الانسانية، جامعة دمشق، 2015/2014.
5. مصطفى اقرور، الحرية عند هاربرت ماركيوز، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة السياسية والاجتماعية، قسم الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة قسنطينة ، 2000/1999 .
6. نور الدين بوزار، الفلسفة والعلوم الاجتماعية عند مدرسة فرانكفورت(ماكس هوركهايمر . ستيو ادرنو . نموذجا)،قسم الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة وهران 2، 2017/2016 .

مذكرة بلغة أجنبية

1. Guy, Desilets B. " Théorie et Praxis Dialectiques dans la Pensée de Herbert Marcuse". Université du Québec. Mai, 1973 .

رابعا : قائمة المواقع الالكترونية والمجلات

1. احمد رباص ، نظرية تقسيم العمل من ادم سميث الى ايميل دوركايم
2. https://www.anfaspress.com/index.php/news/print/
2021/04/09 ، 22:30 .
3. تاريخ النظام الرأسمالي، موقع سطور ، https://sotor.com/ 2021/04/08 ،
15:30 .

4. حياة ذيبون، حديث النهايات العقل التواصلي بديلا عن العقل الاداتي، مجلة مقاليد، جامعة سطيف، العدد 5، ديسمبر 2013
5. خضرإ حيدر، مفهوم التقنية (دلالة المصطلح ومعانيه وطرق استخداماته)، مجلة الاستغراب ، العدد 15 ، لبنان، 2019 .
6. يوسف رزين، فلسفة التاريخ من هيجل وماركس، مجلة الحوار المتمدن، العدد 4008، 2013/02/19
https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=346362

فهرس المحتويات

الملخص

اجتاحت التقنية عالم الانسان فأصبحت جزءا لا يتجزء من حياته بل باتت من أهم الاسباب التي تعمل على حفظ استمراره وقد خصصت هذه الدراسة التطرق لواحدة من أهم الفلسفات التي عالجت مسالة التقنية وتطوراتها عبر العصور والتغيرات التي طرأت عيها. ويعد المفكر هاربرت ماركيوز من أهم الفلاسفة الذين كانت لهم نظرة ديالكتيكية حول التقنية من حيث هي أداة تهدد كيانه كانسان متعالي ومن حيث هي أداة يمكن للإنسان الذي يتمتع بالوعي الكامل أن يجعل منها سندا تقوده نحول الافضل لكن بشرط ان يكون متفطنا لما يجري من حوله من استعباد و اضطهاد و اغتراب ولا ياتي الوعي الا بالثورة هذه الثورة التي تنطلق من فئات مدركة لما يجري من حولها ، الا ان ماركيوز يرى بان التحرر يجب ان تغلفه منابع جمالية تطلق في نفسية الانسان روح الابداع و الحيوية ومن هنا يخلق انسان جديد

الكلمات المفتاحية: ماركيوز، التقنية ، الطبقات ، البعد الواحد ، النقد ، الديالكتيك ، الثورة التحرر، الفن

.

Abstract:

Technology had swept the human world and became an integral part of his life, but it became one of the most important reasons that preserve his continuation. This study is devoted to addressing one of the most important philosophies that dealt with the issue of technology and its developments through time in addition to the changes that have taken place on it. The thinker Herbert Marcuse is one of the most significant philosophers who had a dialectic view on technology as a tool that threatens his being as a transcendent human being and as a tool that an aware man can make it a great support for the better, as long as he is knowing about the enslavement, persecution and alienation that exist around him. Such awareness comes only through the revolution, which starts from groups who are aware of what is going on around them, but according to Marcuse emancipation must be covered by aesthetic sources that give the human psyche the spirit of creativity and vitality and hence create a new human being.

Keywords: Marcuse .Technology. Classes One Dimension .Criticism .Dialectic Revolution . Emancipation.Art.